الثقالة و الثقلاء (١)

ما كان ينبغي أن أثقل عليكم أيها السادة بحديث هؤلاء الثقلاء . الذين ضجّت منهم الارض والسماء . ولا أن أهتم بجمع اخبارهم ولا تعجيبكم من غريب أطوارهم — لولا اني رأيت كبيراً من علماء السلف أفردهم بالذكر في مؤلّف خاص سماه (كتاب الثقلاء) . وقد جمع فيه زبدة من آراء مفكري العرب في ما هي الثقالة . ومن هم الثقلاء ؟

فالكتاب صفحة من تاريخ أدبنا القومي الاخلاقي ومؤلفه كغيره من علمائنا الأقدمين الذين اهتموا بجمع أخبار فئات من الناس شاذة في بعض جوانب اخلاقها ومناحي طباعها . فهذا الجاحظ جمع لنا أخبار (البخلاء) كما جمع في كتاب آخر أخبار (اللصوص) . وابن الجوزي صنّف في أخبار (الحمقى والمغفلين) . والخطيب البغدادي وصف لنا في كتاب خاص أحوال (الطفيليين) الذين يغشون الولائم من دون دعوة .

وكل هؤلاء العلماء لم يهتموا بهذه الطبقات من الناس إحياءً لذكرهم . أو تمجيداً لقدرهم . وانما كان غرضهم إعطاءنا دروساً في أخلاق السوء التي كانت عليها هذه الفئات المأفونة فنتحاماها . ونطهّر أنفسنا من أدرانها . على حد قول الشاعر :

(عرفت الشر لا للشـ ـر لكن لتوقيه)
(ومن لم يعرف الخير من الشـرّ يقع فيـه)

إذ لا يخفى عليكم أيها السادة أن ساحة هذا الوجود تشبه المسرح الذي تُمثَّلُ عليه الروايات . قومٌ يمثّلون وقومٌ نظّارة : يشاهدون ثم ينصرفون .

(١) هي المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي مساء يوم الجمعة الواقع في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٣١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك آحاد الناس على مسرح هذه الكائنات: يمثّل قوم وينظر آخرون اليهم · حتى اذا انقضي دورهم صعد الى المسرح من يمثّل دوره مكانهم ثم يخلفه غيره وهكذا · ولا يوجد في هذا العالم أحدٌ لم يمثل دوراً تتحدث عنه الناس مستحسنين أو مستهجنين ·

والغرض من مشاهدة التمثيل سواءٌ أكان على المسرح (التياتري) الصغير · أو على المسرح العالميّ الكبير انما هو العظة والاعتبار · يرى المرء الحسنة فيرغب فيها · ويرى السيئة فينفر منها : فالموفق هو الذي اذا نظر الى الممثلين اتعظ واعتبر · والمخذول من تمرّ به العبر · فلا يكون له حظ منها سوى النظر · حتى اذا مثّل دوره قبح مثالاً · وأضحى في الحماقة أو الثقالة آيةً ونكالا ·

ومثلُ ذلك يقال في تأليف كتبِ الأدبِ والتاريخ واخبار الناس وما تضمنته الأسفار المقدسة من القصص والمواعظ والأمثال — كل هذا إنما أُريد منه عرض صور الممثلين الماضين على انظار الممثلين الآتين · فيجيد كلٌّ منهم تمثيل دوره · ويتجنّبُ خطيئات غيره : فابن الجوزي الذي عرض تحت مواقع أبصارنا مامثّله الحمقى والمغفّلون من الأدوار المضحكة إنما اراد أن يحملنا على الانتباه لأنفسنا فنطهرها من الحماقة في حركاتها وسكناتها · وهو في عمله هذا عاملٌ بآداب القرآن · لأن القرآن أرشدنا الى الاعتبار بأفعال الحمقى · وحذّرنا أن نكون مثلهم · وأن نأتي من الأعمال مأتيهم · فقال تعالى : (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا) اي لا تنقضوا عهودكم وتكونوا كتلك المرأة المتناهية في الحمق (وهي ريطة بنت عمرو من نساء مكة) · كانت تنهمك في غزلها هي وجواريها حتى اذا أحكمت فتله · عمدت اليه فنقضته أنكاثاً · أي خيوطاً غير مفتولة ·

ولا يخفى أن الوحيَ الإلهيّ لم يقصد من ذكر قصة (ريطة) المذكورة إضحاكنا وتسليتنا · وانما قصد إرشادنا وتربيتنا ·

وكذلك شأن أولئك المؤلفين · في ما قصوه علينا من أخبار الحمقى والمغفلين ومثلهم مؤلف (كتاب الثقلاء) الذي جعلناه موضوع محاضرتنا اليوم ·

وقد حلل شارح القاموس كلمتي (الثقالة والثقيل) وأشار الى كتابنا هذا اي كتاب الثقلاء فقال معلقاً على قول القاموس (وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته الناس ويستثقلونه) — ما نصه (وواحد الثقلاء ثقيل يقال أنت ثقيل على جلسائك · وما أنت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الا ثقيل الظل . بارد النسيم . ويقال : مجالسة الثقيل تضني الروح . ومن أبدع ما أنشدنا في الثقيل بعض الشيوخ :

(وثقيل قال صفني قلت أيش فيك أصف)
(كل ما فيك ثقيل حلّ[1] عني وانصرف)

وقال الراغب : الثقيل في الانسان يستعمل تارةً في الذم وهو اكثر في التعارف . وتارةً في المدح نحو قول الشاعر :

(تخفّ الأرض إما زُلت عنها وتبقى ما بقيت بها ثقيلا)
(حللتَ[2] بمستقر العزّ منها فتمنع جانبيها أن يميلا)

وقد أُلف في اخبار الثقلاء كتاب اه كلام التاج .

ونحن اليوم نستعمل كلمة الثقيل في الذم واذا أردنا المدح حرفناها وقلنا فلان (طقيل) بالتاء المفخمة كالطاء نريد انه وقور رزين .

* * *

في المكتبة الظاهرية طائفةٌ من المجاميع المخطوطة . تحتوي كلُّ مجموعة منها على عدة رسائل مختلفةٍ في أبحاثها . متنوعةٍ في موضوعاتها . وقد كنت يوماً أُنقب في هذه المجاميع وأتصفح ما أُودعته من الرسائل . واذا بي أمام رسالةٍ عنوانها (الثقلاء) فأول ما خطر ببالي أن الثقلاء . هم إخوان الحمقى والبخلاء .

فلا جرم أن تكون النتيجة من دراسة أحوالهم واحدة . وإذ قد طبعت المصنفات عن (الحمقى) وعن (البخلاء) . وعرفت أطوارهم . وشاعت بين الناس أخبارهم فلا يحسن أن نبخس إخوانهم (الثقلاء) حقهم . فلا نعلن أمرهم . ولا نذيع سرّهم . فرأيت من

(١) قوله (حل عني) كذا بالحاء المهملة ولعل صوابه (خل عني) بالمعجمة على أن عامتنا اليوم يقولون — اذا استثقلوا مخاطباً — « حلّ عنا يا » بالحاء المهملة .

(٢) قوله حللت الخ ويروى (لأنك موضع القسطاس منها) واذكر أن هذين البيتين للنابغة قالهما في النعمان وقد لاموه على مخاطبته الملك بكلمة (ثقيل) حتى اضطر الى تغيير الشطر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفاء الذمم أن أصطنع من مضمون هذا الكتاب أعني (كتاب الثقلاء) محاضرةً : ألقيها في هذه الردهة . كما كنت منذ سبع سنوات . ألقيت فيها محاضرةً عن (الحمقى والمغفلين) .

* * *

و كتاب الثقلاء أيها السادة في نحو عشرين صفحة . صغيرة القطع . قديمة الخط . كامدة اللون . قد تكون كُتبت في القرن السابع للهجرة . وهي ضمن مجموعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (١٨) في قسم المجاميع .

وفي النسخة أغلاط وتحاريف كثيرة . وقد لحقتها رطوبة في أوساط صفحاتها . فتلاصقتْ وانسحجت وتقشّرت . ولما شققتها وباعدتُ بعضها عن بعض فسد كثير من كلماتها في مكان الإلتصاق فكان أحياناً يغيب معنى الجملة . ويتبع ذلك إبهام وغموض في أصل القصة التي جاءت فيها تلك الجملة .

والثقلاء وان كان الناس يمقتونهم ويتجنبون ذكرهم بل ذكر أسمائهم أحياناً فان السلف الصالح رضي الله عنهم اهتموا بهم وتثبتوا في نقل أخبارهم الى حدّ الورع : فهم لم يذكروا لنا تلك الأخبار كيفما اتفق . وانما ذكروها بطريق الرواية والسند . كما اذا كانوا يروون أخبار أنبياء مرسلين . لا ثقلاء ممقوتين . بل الأمر أعظم من ذلك فإن رسالة (الثقلاء) هذه رويت عن مؤلفها بعدة طرق : فقد وجد في أولها وآخرها مايفيد أن (الحسن بن عمار) قرأها على (اسماعيل بن جلدك) القلانسي . وأجازه بها . وأن (علي بن مظفر) قرأها عليه ايضاً مرةً على انفراد . ومرةً مع جماعة . وذلك سنة ٦٤١ للهجرة .

أما (اسماعيلُ بنُ جلدك) فروى الرسالة عن (ابي منصور بن مكارم) المؤدب سنة ٥٨٥ للهجرة . وابنُ مكارم رواها (سنة ٤٨٣ هـ) عن جماعةٍ : فيهم (عليٌّ السراج) و (الحسينُ النجار) . وهؤلاء روَوْها عن (هبة الله السمان) . وهبة الله رواها عن (الحسن الآدمي) والحسن الآدمي رواها عن مؤلفها (ابن المرزبان) سنة ٣٨٠ للهجرة .

أرأيتم ياسادتي مبلغ اهتمام سلفنا الصالح بالثقلاء . ومقدار ماتجشموا من المشقة في جمع أخبارهم ؟ وتمحيص رواياتهم .

ثم أيكون هذا شأن سلفنا الصالح في العناية بهم ونحن نزهد فيهم ونعرض عنهم ولانسمح بساعة واحدة من وقتنا في استماع رواياتهم . والاستفادة من دراسة ثقالاتهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما مؤلف كتاب (الثقلاء) فهو من علمائنا الثقات الاقدمين . ذكره صاحب كتاب (شذرات الذهب . في اخبار من ذهب) . وشذرات الذهب مخطوط[1] من أنفس مخطوطات (المكتبة الظاهرية) .

قال مؤلفه (وفي سنة ٣٠٩ للهجرة توفي ابو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي الأخباري صاحب التصانيف . روى عن الزبير بن بكار وطبقته . وكان صدوقاً . والمرزبان كلمة فارسية معناها (حارس الحدود) اه : (مر) حد و (زبان) بمعنى حارس او محافظ .

وقد لاحظت في مخطوطة (الثقلاء) اموراً تدل على قدم المخطوطة واتصالها بالأولين من علمائنا .

من ذلك ان جملة (صلى الله عليه وسلم) التي تذكر عقب اسم سيدنا الرسول لا تكتب في المخطوطة الا مرموزاً اليها بحروف اربعة : الصاد (من صلى) واللام (من الله) والياء (من عليه) و(الواو) (من وسلم) هكذا (صليو) لا بكلمة صلعم كما نفعل نحن اليوم .

وقد رأيت في (رسائل إخوان الصفا) رمزاً للتصلية بحروف ثلاثة فقط وهي (صلع) متصلة من دون ميم . اما (صلعم) فيظهر أنها اخترعت في حدود التسعمائة للهجرة : جاء في شرح الفية العراقي في مصطلح الحديث عند قول الناظم : (واجتنب الرمز لها والحذفا)

أي اجتنب الرمز للتصلية النبوية وحذف حرف من حروفها وانما إئت بها في النطق والكتابة كلها . ثم ذكر شارحها الشيخ زكريا الانصاري أن الشيخ (النووي) نقل اجماع من يعتد بهم على سنية الصلاة على النبي نطقاً وكتابة اذن لا يكون من السنة أن يرمز اليها بحرف ما .

ثم ذكر الشيخ الانصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصلية بحروف (صلعم) قطعت يده والعياذ بالله تعالى . ولا يخفى أن الشيخ زكريا الانصاري توفي في القرن العاشر للهجرة (٩٢٦) هـ .

* * *

(١) شرعوا في طبعه بمصر وقد طبع منه الى اليوم ست مجلدات .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نرجع من وصف (كتاب الثقلاء) الى وصف (الثقلاء) أنفسهم فنقول :

(الثقالة) لغة من صفات الاجسام ثم أجدُوا لها اصطلاحاً وجعلوها من صفات الارواح .

والروح في أصل خلقتها . ومحض جوهرها ألطف شيءٍ في الوجود ولذا يسميها بعضهم (اللطيفة الربانية) . لكن قد يعتري هذه اللطيفة حالة مرضية تجعلها غير لطيفة ولا مرضية بحيث يصبح الانسان الذي يجالسها أو يكالمها أو يشاهدها — كأنما حملت نفسه من ثقالتها جبلاً راسخ الأساس . أو كأنّ أحد الناس ضغط على أكظامه فأخمد منه الأنفاس .

فالثقالة الممقوتة هذه تكون في روح الثقيل لا في جسمه . بل كثيراً ما يكون جسمه شختاً نحيفاً قليل الجرم . ومع هذا تشعر النفس بثقالته . وعلى العكس يكون الرجل أحياناً بادناً لحماً ضخم الجثة لكن تكون روحه خفيفة الحمل . لطيفة الظل .

وقد لاحظ علماء الأخلاق أن خفاف الروح يكونون في الغالب سماناً ضخام الاجسام فما علاقة خفة الروح والدعابة بضخامة الابدان ؟ سرٌّ ذلك ما زال مجهولا .

أما الثقالة ولماذا تكون في أرواح بعض الاشخاص دون بعض — فقد ذهبوا في تعليل ذلك (بيسكولوجياً) كل مذهب :

فقال بعضهم : إن الثقالة عدوى واكتساب : فالثقيل يعدي الثقيل . كما أن الأجرب يعدي الأجرب . ولو صح هذا لوجب على الحكومة أن تلقي حجراً صحياً على الثقلاء . وهذا غير مستطاع .

وقال آخر : إن الثقالة ناشئةٌ عن تأثير البيئة والوسط وليس هذا بصواب ايضاً لأن الثقلاء واضدادهم اللطفاء يعيشون في بلدة واحدة وبيئة واحدة . وهواء وماء وطعام واحد ومدرسة وحكومة وعائلة واحدة . ومع هذا يكون أحدهم ثقيلاً . والآخر خفيفاً ظريفاً .

وقال آخرون : إن الثقالة وراثة فهي خُلُقٌ يرثه الثقيل من أبيه أو أحد أجداده كما تورث اللطافة وخفة الروح . وإني اعرف في طرابلس الشام (بل وفي دمشق كما أُخبرت ايضاً) — أخوةً خمسةً كلهم بلغوا سن الشيخوخة وهم من أظرف الناس واخفهم روحاً . واحبهم للنكتة . ويخبرنا المعمرون من أهل طرابلس أن امهم كانت عجوزاً خفيفة الروح حلوة الكلام كثيرة المزاح والدعابة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وربما كان هـذا القول (أي ان الثقالة وراثة كاللطافة) — قولاً صحيحاً . ولكن الاصح منه في اعتقادي أن الثقالة استعدادٌ خاص . ومزاجٌ خاص . في بعض الاشخاص فيكون هذا الانسان مستعداً لقبول هذا المرض الخلقي الخبيث . بينا ذاك الآخر مزاجه غير قابل له بالخلقة والاستعداد . وهذا كمرض السرطان الذي لم يهتدِ الأطباء الى سببه وجُلُّ ما يمكنهم أن يقولوه : إنه ناشئٌ عن مزاجٍ خاص في الانسان لاعلاقة له بالارث .

هذه بيسكولوجية (الثقالة) أما بيسكولوجية (الاستثقال) اي شعور الانسان بثقالة غيره ومناشئُ هذا الشعور وأسبابه فأمره غامض جداً وذلك لتشعب هـذه الأسباب واختلاف تلك المناشئ ونضرب لكم مثلاً قاله[1] أحد (البيسكولوجيين) .

نرى أحياناً رجلاً فنستثقله ولا ندري السبب في كراهتنا له . فمنا من يستثقل الرجل السمين . ومنا من يستثقل الاشقر أو رجلاً آخر له أنف أقنى كمنقار النسر أو نحو ذلك وقد يعلل بعض هذا النفور في بعض الناس بحادثةٍ حدثت له في الصغر ثم انطبع أثرها في نفسه ولازمه حتى الكبر . مثال ذلك ان طفلاً كان يلعب ففاجأه رجل سمين وخوّفه : إما مزاحاً أو لغرض آخر . فانطبع الخوف في ذهن الطفل من كل رجل سمين وشبّ على كراهة السمان وهكذا يقال في كثير من حالات الاستثقال اه .

* * *

وتحمل الثقلاء والصبر على ثقالتهم سُنّة من سنن الدين ومما ينبغي أن يسعه صدر الحليم . ولكن الى حدّ محدود .

اما اذا تجاوزت الثقالة حدها . وزاد بردها . وطغا مدُّها . فحينئذٍ لا الوحيُ الالٰهيُّ يأمر بالصبر عليها . ولا الأنبياء عليهم السلام بملومين اذا انفضوا من حواليها . وشاهدُ ذلك ما جاء في القرآن والسنة وآداب السلف .

قال تعالى خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) . والفظاظة هي الثقالة بعينها : فالله تعالى يقول لو كنتَ يا محمدُ فظّاً ثقيل الروح المكروه لكرهك العرب ولتفرقوا من حولك لكنك لست بفظ ولا ثقيل فلم ينفضوا بل التفوا حولك . وسمعوا قولك . وآمنوا بك . وهذا من فضل الله على الناس : إذ خلق لهم محمداً صلى

(١) رأينا هذا في مقال نشره بعض الفضلاء حديثاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الله عليه وسلم غير فظٍّ ولا ثقيل الروح حتى آمنوا به . ولو خلقه ثقيلاً لما آمنوا بالطبع ولكانت لهم الحجة على الله في إرساله رسولاً ثقيلاً .

فانظروا أيها السادة ما أبشع الثقالة وأسوأ أثرها في الأمم وكيف ان غلاظة نبيٍّ من الأنبياء تصلح عذراً لأُمته في أن يكفروا بدينه .

***

وقد افتتح (ابن المرزبان) كتابه (الثقلاء) بقوله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاماً ودعا القوم . فجاؤا فدخلوا فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله يخرج ثم يرجع . وهم قعود فنزلت (فإذا طعمتم فانتشروا الآية) وقد علَّق الحسن البصري رضي الله عنه على هذه الآية فقال : انظروا كيف أن الله تعالى ذمَّ الثقل في القرآن . فقال : (فإذا طعمتم فانتشروا) .

ويظهر من مجموع الآثار الواردة عن السلف أن استثقال الثقيل أدبٌ من آدابهم إذ في ذلك تربيةٌ للثقيل وتنبيهٌ له الى إصلاح نفسه . وتداركِ شرّ ثقالته . وقد جرى كثيرون من السلف الصالح على هذا الادب حتى كان ابو هريرة رضي الله عنه إذا ثقَّل عليه أحدٌ قال : اللهم اغفر له . وأرحنا منه .

فأبو هريرة يرى أن ثقالة الثقيل ذنب . ولذا دعا لصاحبها بالمغفرة أولاً . ثم الراحة من ثقالته ثانياً . وقال بعض الفضلاء الثقيل اذا عرف نفسه أنه ثقيل لا يكون ثقيلا . وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : (من خاف أن يكون ثقيلاً فهو خفيف . وأما من أمن الثقل فهو ثقيل) وقوله (أمن الثقل) معناه أن يبرر نفسه ويشهد لها بأنها ليست ثقيلة . وهذه الطمأنينة لنفسه تجعله يغفل عن ردعها فتسرح وتمرح في ميادين الثقالة . وهو لاهٍ عنها . غير شاعر بثقالتها . وهذه هي المصيبة العظمى . فسيدُنا عمر رضي الله عنه نبَّه الناس وحذَّرهم من هذه الخطة الملعونة . وأوصاهم بان يسيئوا الظن بأنفسهم لئلا يتورّطوا في الثقالة من حيث لا يشعرون .

وكما أن الثقيل اذا اعترف بثقالته لا يكون ثقيلاً كذلك اللطيف الخفيف الروح اذا تباهى بلطافته وافتخر بخفته لا يكون لطيفاً ولا خفيفاً . وزِد على ذلك أنهم صرحوا بأن اللطيف الخفيف الروح اذا استأنس بالثقيل واستلطفه كان ثقيلاً مثله : قال المؤلف (ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرزبان) نقلاً عن بعض الفضلاء : (إن الاستئناس بالثقيل آيةٌ على الثقالة : اذ كل طيرٍ انما يطير مع شكله) .

ومن علامات الثقالة الإلحاح في طلب الحاجات من الإخوان مهما اعتذروا له بعدم إمكان إجابة سؤله . وقديماً ماأوصى الحكماء بترك الإلحاح حتى قال حكيم العرب اكثم ابن صيفي (من ألحف في مسألة فقد أبرم وأثقل) .

ومن علامات الثقالة أيضاً أن يتبوأ الزائر من المجالس مكاناً ليس من العادة الجلوس فيه كوسط الحلقة مثلاً . وقد روي أن رجلاً قعد وسط حلقة سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . ولم يكفه هذا حتى التفت الى حذيفة وقال له : ان فلاناً صديقك مات . فاغتاظ حذيفة . وقال له وانت أحق على الله أن يميتك : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة .

وما كان السلف يتورعون من ذكر الثقيل بما فيه : فكان حماد ابن زيد اذا رأى (عفان) قال ما أثقلك ! !

وقال ابو نعيم سمعت سفيان الثوري يقول لزائدة بن قدامة لو كنت من البغال لكنت من بغال النقل . اي لأن بغال النقل تكون كبيرة ضخمة غير مروضة ولا مهذبة بينما بغال الركوب تكون مرهفة الأعضاء لطيفة الجرم وتكون مع هذا مروضةً مطبوعةً على حسن السير .

وعن محمد بن عبد الرحمن قال : قال ابن طاووس (لكلام الثقيل أشد عليّ من الشيطان)

وروي مخلد أن اباعاصم كان يقول (اذا ابغضت الرجل لثقله أبغضت شِقي الذي يليه) اي يبغض جسمه الواقع من جهة ذلك الرجل .

بل غلا ابن السماك في ذلك حتى قال : كم من رجلٍ خفيف الروح اذا نزل به بلاء تمنينا لو نتحمل عنه بلاءه بيناً آخر من الثقلاء نحب ان يموت ونرتاح منه وأنشد :

(وثقيل أشد من ثقل المو ت ومن شدة العذاب الاليم)

(لو عصت ربَّها الجحيم لما كا ن سواه عقوبةً للجحيم)

وروى نصر الصائغ قال كنت عند (أسود بن سالم) فجاءه رجل من احد جانبيه فسلم عليه فلم يرد ابن سالم السلام عليه . وغمض عينيه . فدار الرجل وجاءه من الجانب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآخر فسلم . فلم يرد عليه . فقال له : يابا محمد لمَ لا ترد السلام ؟ فالتفت أبو محمد الى من حوله . وقال لهم : انظروا الى رجلٍ غمضت عيني لئلا أراه ومع هذا فهو يريد مني أن أرد عليه السلام . الى هذا الحد كانوا يتبرمون من الثقلاء حتى استجازوا عدم رد السلام عليهم مع أن رد السلام فرض . وكأن ابن سالم لما رأى الثقيل قد سلم دون أن يحافظ على آداب التسليم رأى هو أن يقابله على عمله فلا يرد عليه السلام .

وكان السلف يتفننون في هجو الثقيل ووصفه بأساليب كلامية : فيها حسن صنعة . وفيها شفاء غيظ : قال المؤلف : حدثنا محمد بن قدامة عن ابي أسامة قال سمعت هشام ابن عروة يقول لرجل (لأنت اثقل من الزواقي) فلم يفهم ابن قدامة معنى كلمة (الزواقي) قال : فذهبت الى (الفراء) إمام النحاة فسألته ماالزواقي ؟ فلم يعرفها . فقال بعض جلسائه : إن العرب كانت تسمر بالليل سمراً يلذ لها ويطيب . فاذا سمعت زقاء الزواقي (اي صياح الديوك) شق عليها مجيء الصبح المؤذن بتفرقهم . قال ابن قدامة فأعجب الفراء بذلك .

فالزواقي إذن هي الديوك التي تزقو أي تصيح وقت الفجر وتفرق أرباب السمر وتشتت شملهم فهم يستثقلونها اذا سمعوا صوتها .

بل الأعجب من ذلك مارواه محمد بن سعد قال : كان في المدينة المنورة رجلٌ له ولدان لم يكن بالمدينة أثقل منهما وكان أبوهما صالحاً طيب النفس . فذكروا يوماً الثقالة في مجلسه فقال : (على رسلكم : امرأته طالق إن كانت الزوراء عند احد ابني الاجاروشة) : و (الزوراء) قصرٌ عظيم جداً بناه عثمان رضي الله عنه في المدينة . فالأب يحلف أن ذلك القصر على ضخامته ماهو الا جاروشة (أي حجر طحن) بالنسبة الى ثقالة ولديه حقاً إن ظرافة هذا الأب تخفف من ثقالة ولديه . وتجعلنا نترحم عليهما وعليه .

وحاصل القول أن السلف رضي الله عنهم كانوا اذا اشتدت عليهم ثقالة الثقلاء فرجوا كربهم . وفشّوا وطيبهم . بما يصوغونه من الأساليب البليغة . والنكت المستملحة . ولكن بعضهم كانت تفاجئه ثقالة الثقيل قبل أن يستعد لها فيدهش ويفحم : فقد روى حماد بن زيد قال : حدثني شيخ من اعراب البادية قال : كان عمي رحمه الله إذا رأى ثقيلاً غشي عليه . وهذا الإغماء الذي كان يصيب ذلك الأعرابي عند رؤية الثقلاء يدل على رقة شعور وحساسية نفس اكثر من اللازم . أما ابن عائشة المغني المشهور فقد كان اذا رأى ثقيلاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اكتفى بقوله : صنجة ميزان . وهي عياره من النحاس الأصفر كالرطل ونحوه . والأفصح في كلمة (صنجة) ان تلفظ (سنجة) بالسين لا الصاد . وهي معرب (سنكة) بالفارسية .

وابو أسامة كان إذا رأى ثقيلاً مقبلاً لا يغمى عليه بل يكتفي بقوله تغيمت السماء .

وروى المؤلف عن والده أنه قال : كان بعض مشايخنا إذا رأى ثقيلاً صاح : (الحجر الحجر) ومراده بالحجر الحجر ان الثقيل في ثقالته يشبه الحجر ويحتمل أن يكون أراد إئتوني بحجر لأرشقه به واطرده عن مجلسي .

اما (وكيع) رضي الله عنه فأمره غريب : ذلك انه اذا جلس اليه احد الثقلاء غمض عينيه وقام كيلا يراه .

ووكيع هذا هو شيخ الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد عناه الامام بقوله :

(شكوت الى وكيع سوء حفظي فأرشدني الى ترك المعاصي)

(واخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يُهدى لعاصي)

وهكذا كانوا يتفننون في اساليب الكلام ليدلوا على نفرتهم من الثقيل . وبعضهم كان لا يرى شفاء غيظه منه إلا بأن يعرّفه صراحةً بأنه ثقيل . فقد روى معمر رضي الله عنه قال كنت جالساً في مجلسٍ بصنعاء اليمن مع السماك بن الفضلي . فدخل عليه فتى يستثقله فقال لي يامعمر تعال حتى نعد ثقلاء صنعاء . فجعل يعدهم واحداً واحداً ثم عدني أنا منهم ثم عدّ الفتى بعدي . فسكت الفتى ولم يمكنه الإحتجاج .

وروى مجالد ان الشعبي كان يقول (من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء) . وقد يقال إن إبليس هو الذي شغله عن الصلاة فما ذنب الثقيل ؟ ولكن الشيخ الشعبي هكذا رأيه في المسألة . وروي أيضاً عنه أنه كان قاعداً في مجلسٍ فأقبل رجل فلما رآه الشعبي قام منصرفاً وقال ثقيل والله .

والصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه كان يذهب في استثقال الثقلاء إلى أبعد من هذا كله : كان يقول (إن الثقيل ليدعوني أحياناً الى طعام فأقول له إني صائم . ولا اكون صائماً) يعني انه كان يترك إجابة الدعوة المسنونة في الإسلام كي لايجالس الثقيل على طعام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول : من النـاس من يخفّ ومنهم من يثقل حتى كأنه رحى ركبت فوق ظهري .

والامام الشعبي هذا من كبـار علماء السلف وقد تكررت الروايات عنه في استثقال الثقلاء . ومثله في ذلك (شعبة) و (شريك) و (الاعمش) فإنهم أيضاً من علماء السلف ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى (ابن المرزبان) في كتابه (الثقلاء) الذي نحن بصدده اخباراً كثيرة مروية عن هؤلاء الأئمة الأربعـة : الشعبي وشعبة وشريك والأعمش : اربعتهم من علماء السلف . وأول اسمائهم شين . الا الأعمش فشينه في آخره . وهم متماثلون في حب النكتة والميل الى الدعابة البريئة . كما أنهم رضي الله عنهم اتفقوا على استثقال الثقلاء . والتفنن في إظهار النفرة منهم .

وفي كتاب الثقلاء الكثير الطيب من أخبارهم وأقوالهم . وقد سمعتم آنفاً ماقاله (الشعبي) من أن من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء أما (شعبة) فقد روى مزاحم عنه قال : سألت شعبة عن رأيه في أبي بكر الهذلي فقال (دعني لا أقيء) اي إن مجرّد ذكر الهذلي يكاد يضطره الى القيء . فكيف به لو رآه أوجالسه أو سمع كلامه ؟

وأما (شريك) ويسمى (النخعي) أيضاً : فقد روى عبدالرحمن الخوارزمي عنه قال : لقيت شريكاً فقلت حدثني بحديث كذا وكذا . فحدثني . فقلت : حديثاً آخر . فحدثني . فقلت وآخر . فقال لي باللغة الفارسية (أنت ثقيل) . ولو كنت ثقيلاً بالعيان لخف الأمر وهان ولكنك ثقيل على القلب ايضاً) .

والحقّ أن الخوارزمي لو لم يكن ثقيلاً لما استوقفه في الطريق وكلفه أن يحدّثه المرة بعد المرة . واذا كانت الاحاديث التي كلفه اياها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (وهي كذلك في الغالب) كانت ثقالته أشد وانكى . اذ كيف يليق أن تتخذ قارعة الطريق حيث العامة والغوغاء — مدرسةً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنا إن (شريكا) هو الذي يلقب بالنخعي . فهو عربيٌّ قحٌّ منسوب الى قبيلة النخع إحدى قبائل مذحج العربية اليمنية القحطانية . ولا نعلم كيف تعلم اللغة الفارسية . وكان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رضي الله عنه يقصد من جميع الأقطار لتلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تولّى قضاء الكوفة في زمن الخليفة المهدي ثم ابنه هرون الرشيد . ومات سنة ١٧٧ للهجرة فلنفرض أنه حذق الفارسية بسبب من الأسباب ولكن ما هو السبب الذي جعله يشتم الثقلاء باللغة الفارسية لا العربية ؟

هل ان شدة تعصبه للغة العربية الشريفة حملته على ان يكرمها ولا يلوثها بسبّ الثقلاء . ومن سبّه للثقلاء بالفارسية ايضاً ما رواه ابن المرزبان قال : حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا بعضهم أن رجلاً كان يتكلم في مجلس شريكٍ فأكثر من الثرثرة وهراء القول فقال له شريك بالفارسية (گران گران سخت) ومعنى ذلك بالفارسية (ثقيلٌ ثقيلٌ جداً) .

ذكرنا آنفاً أيها السادة أن هؤلاء الأئمة الاربعة (شريك وشعبة والشعبي والاعمش) كانوا أهل ظرفٍ ونكتة وأشهرهم في هذا المعنى الأعمش . فقد روى العباس بن يزيد قال : أهدى رجلٌ الى الاعمش بطيخةً . فلما أخذ الأعمش مجلسه في الصباح حضر الرجل فقال له : (يا أبا محمد كيف كانت البطيخة) قال : طيّبة ثم عاد الرجل ثاني يوم وسأله عن البطيخة فقال طيبة ثم ثالث يوم كذلك . فصرخ الأعمش ان كففت عني وإلا تقيأتها .

فالتذكير بالاحسان من آيات الثقالة ايضاً اذ هو كالمنّ المنهي عنه شرعاً . وجاء حجاج ابن أرطاة الى الأعمش فاستأذن عليه فقال : قولوا له ابن أرطاة على الباب . فقال الاعمش . (أبكيءٌ على بكيءٍ ؟) ولم يأذن له . واصل العبارة في كتاب الثقلاء هكذا (ابكي عليه ابكي عليه) ولا معنى لها ولعل الصواب ما قلته وأن يكون أصلها (ابكيءٌ على بكيءٍ) و (بكيء) فعيل من البكاء بالهمزة وهو قلة لبن الناقة . هذا أصل معناه في اللغة ثم نقله البلغاء الى معنى قلة الكلام عيّاً وفهاهةً فالأعمش بسبب مرضه أصبح بكيّاً اي ثقيل اللسان عسر النطق . وذاك الزائر (اي الحجاج بن أرطاة) غير فصيح ولا يحسن الكلام فهو فدمٌ عيّ . وأي مصابٍ أن يجتمع عيّان : لا يتفاهمان . ولا يخلصان في حديثهما الى بيان .

وعن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي أنه قال : (عيادة حمقى القرّاء أشدُّ على أهل المريض من مرض مريضهم) وذلك أنهم يعودونه في غير وقت عيادة ويطيلون الجلوس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكانوا يريدون بالقراء ما نريده اليوم بكلمة (فقهاء) أو (طلبة) وفي مصر (مجاورون) وفي بلاد الترك (صُفته) وعكوف هؤلاء السُفط على دراسة علوم الدين تجعلهم كغيرهم من المتخصصين في فنهم : منعزلين عن الناس ذوي عقلية خاصة غير ملمين بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ولا بعادات أهلها ولا يعرفون شيئاً مما يدور في مجالس أنسهم واذا تكلموا فإنما يتكلمون في مسائل فنونهم التي تخصصوا فيها . ولا كل أحد يفهمها أو يهتم بها . فاذا كانوا في مجلس لم يعرفوا كيف يجارون أهله في حديثهم . ولا يشار كونهم في مطارحاتهم . ولا يتفطنون الى نكاتهم . ومن أجل ذلك يستثقلهم الناس ولا يحبون مجالستهم .

على ان الشعبي نسب ثقالة طول الجلوس عند المريض الى حمق القرّاء مع أنها دأب كل ثقيل لا حمق القراء وحدهم . ألم يبلغكم خبر الأعمش مع عُوّاده ؟

مرض الأعمش مرة وعاده جماعة من الثقلاء فأطالوا الجلوس عنده حتى ملّ وسئم ثم ما كان منه الا أن قام وتناول وسادته وخرج من الباب قائلاً : شفى الله مريضكم .

وعن عليّ بن يحيى أن المأمون قال يوماً لجلسائه : لِمَ صار الثقيل أثقل على القلب من الحمل الثقيل على الجسم ؟ فلم يجب منهم أحد وقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فقال : لأن الحمل الثقيل يحمله كل من الروح والبدن . أما الشخص الثقيل فتنفرد بحمله الروح ولا يعاونها الجسم . فترزح المسكينة تحت عبء الثقالة من دون معين الا الله . ولا عجب ان يصدر هذا التعليل من المأمون فهو حكيم خلفاء العرب وارقهم شعوراً واكثرهم ظرفاً . وقد اتفق له ان تورّط يوماً مع مغنٍّ ثقيل فقال لجلسائه ما تعرفون في الثقيل ؟ فقال بعضهم : يقول الحكماء يا أمير المؤمنين : ان مجالسة الثقيل حمى الربع . فقال لهم المأمون : فكيف اذا كان مغنيّاً .

قال المؤلف : وروينا عن ابي الحسن قال : أتى شريك بن عبد الله رجلٌ من أصحاب الحديث أي من طُلاّب الذين يقصدون المحدثين للتلقي عنهم . وكان هذا الطالب يسمى (أبا سويد) فجاء يسأل شريكاً عن أطرافٍ كانت معه . ويعني علماء الحديث بالاطراف عباراتٍ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها الراوي ولم يروِ بقيتها فالرجل جاء يسأل شريكاً عن أطرافٍ من أحاديث لا عن أحاديث تامةٍ كاملة . وكان ذلك في يوم شديد الحر فأكثر على شريك من الكلام والثرثرة وثقل عليه جداً . وشريك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

صابر وفي آخر الأمر صاح شريك : (يا جارية تعالي) فأقبلت . فقال لها : (أسبلي الستر وأخرجي الذباب وأبا سويد ايضاً)

وطلاب الحديث عادةً يكونون شديدي الحرص في طلبه . وتحقيق ألفاظه . وضبط أسماء رواته . فاذا ظفروا بمحدثٍ أبرموه بالسوآل وأتعبوه بالإلحاح . ولذلك كثر تضجر المحدثين منهم كما سمعت من خبر شريك مع (أبي سويد) .

وكما روي ايضاً أن يحيى بن سعيد قال مرة لأحد هؤلاء الطلاب لأن تضربني بالسوط أحب اليّ من أن تسألني عن حديث . وقال عبيد الله بن عمر : جئت يحيى بن سعيد يوماً فأذن لي وقال من رأيت بالباب قلت فلاناً . فصكّ رأسه بيديه وقال . جبل جبل . ثم خرجت فرأيت الرجل مازال على الباب ولم أدر إن كان أذن له بالدخول أو لا .

والمحدث أبو أسامة اشترط في المستملي عنه أن لا يكون ثقيلاً : فقد قال سلمة بن شبيب سمعت أبا أسامة يقول إيتوني بمستملٍ خفيف على اللسان خفيف على الفوآد : إياي والثقلاء . إياي والثقلاء .

وقوله (إياي والثقلاء) أسلوب فصيح من أساليب كلام العرب . ومعناه باعدوا بيني وبينهم واحذروا أن تجعلوهم يقتربون مني . ومثله الحديث الشريف (اذا بلغ المرء الستين فاياه وايا الشواب) يعني اذا صار عمره ستين سنة فليحذر أن يتزوج من النساء الشابات وانما له التزوج بمن كانت عجوزاً مثله .

وهنا ملاحظة وهي أن أبا أسامة اشترط في تلميذه أن يكون خفيفاً على اللسان فهو إذن يتشاءم بالثقلاء حتى باسمائهم التي اصبحت ثقيلة بدلالتها عليهم .

وروى ابو الحسن المدائني قال : جاء رجل الى الأعمش فقال له (يا أبا محمد اكتريت حماراً بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذا وكذا .) فأجابه الأعمش (اكتر بالنصف الآخر حماراً وارجع حالاً .)

على أني أقول ما كان ينبغي للمحدثين أن يستثقلوا طلاب الحديث فان لتحصيله لذة تحملهم على كل هذا الإلحاح والإحراج : وقد قلت في ذلك :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(كلُّ [1] العلوم سئمتها فجديدها بالٍ رثيث)
(الا الحديث فانه مثل اسمه أبداً حديث)

وأخشى اذا تبرم المعلمون من طلابهم أن يقابلهم طلابهم بالمثل فيستثقلوهم وينشدوهم :

(لا تمنعنَّ العلم طالبه فسواك أيضاً عنده خبر)
(كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعر)

قال المؤلف : وأنشد ابو سعيد الاهوازيُّ يصف ثقيلاً بشعر على نسق عجيب فقال :

(لشؤم بخت ، وقضم قتٍّ [2] والف سبتٍ وأربعاء)
(ونقل صخر ، وغيم شهر وطول هجرٍ ، على جفاء)
(وكسر ضلع ، ونتف صدغ بماء صُمغٍ ومومياء [3])
(أهون من أن تراك عيني تمشي اختيالاً على الثراء)

والابيات ظاهرة المعنى سوى قوله : ان الف سبت والف اربعاء هي اخف على القلب من رؤية ذلك الثقيل ، فلعل المعنى أنهم قديماً كانوا يتعطلون عن العمل يومين في الاسبوع (الثلاثاء) و (الجمعة) فيكونون فيهما في مسرة وهناء ، فاذا جاء يوم الاربعاء بعد الثلاثاء استثقلوه أما يوم السبت بعد راحة الجمعة فاسألوا صبيان الكتاب يخبروكم عن مقدار ثقالته .

قال ودخل رجل على (ابن مصقلة) يعوده فكان من حديثه أن قال له : ياابا عبد الله مات فلان ، ثم سكت ، ثم عاد ، فقال مات فلان ، وسكت ، ثم ثالثة ، فلما اراد ان يخرج قال ياابا عبد الله ألك حاجة ، قال نعم : لاتعودني مادمت مريضاً .

وذكر الزبيدي في شرحه على القاموس ان ابن مصقلة هذا يسمى رقبة وكان من المحدثين روى عن انس بن مالك وروى له الترمذي في صحيحه .

(١) البيتان لابن الرومي واصلهما هكذا :

(ولقد سئمت مآربي فكأن طيّبها خبيث)
(الا الحديث فانه مثل اسمه ابداً حديث)

قوله الا الحديث أراد به حديث الندماء .

(٢) القتّ الفصفصة اليابسة وهو التي تسمى في مصر برسيما .

(٣) كأنه اراد بالمومياء الشمع .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن حماد الراوية قال : اخبرني رجل عن نفسه أنه قال للفرزدق يا ابا فراس انشدني من شعرك قصيدة كذا وكذا . فأجابه الفرزدق (ياهذا إن قدرت ان لا تكون ثقيلاً فافعل) وقد أصاب الفرزدق : لأن هذا الثقيل وهو من عامة الناس يكلفه ان ينشده شعره . وهو إنشادٌ تتنافس به الخلفاء . فيحق للفرزدق ان يستثقل ذلك الرجل مذ استنشده على هذه الصورة .

وكما ابتلي الفرزدق بهذا الثقيل ابتلي زميله (الاخطل) بثقيل آخر تورط معه في غوطة دمشق .

ذلك ان الأخطل الشاعر الاموي المشهور كان يسمع بمعبد المغني الكبير ولا يعرفه فاتفق وجودهما في دمشق على باب الخليفة الاموي . فتعارفا وتآلفا وخرجا الى الغوطة ومعهما شراب وفاكهة وريحان وجلسا في احد البساتين على نهر جار . وتغريد أطيار وتناشد اشعار . واذا برجل قيل له : ان هذين هما فلان وفلان . فأحب الرجل مجالستهما وكان يسمع بشهرتهما فانسل اليهما . ونزل نزول العمى عليهما فصبرا صبر الكرام . وبعد سكوت عميق التفت الثقيل الى الأخطل وقال له : ياأخطل (أنظر القذى في كأسك) فحينئذ انفرج الكرب عن صدر الاخطل وشفى قلبه من الثقيل بهذين البيتين :

(وليس القذى بالعود يسقط في الإنا ولا بذباب وقعه أيسر الأمر)

(ولكن ثقيلٌ لا نودُّ اقترابه رمتنابه الأقدار من حيث لا ندري)

وروى الاصمعي عن ابن ابي طرفة (أن مجالسة الثقيل حُمّى باطنة) لكن (جبريل الطبيب) الدمشقي كان يقول إننا معشر الاطباء نجد في كتبنا أن مجالسة الثقيل حمى الروح . وقيل للشعبي هل تمرض الروح قال : نعم من ظل الثقلاء . قال فمررت به يوماً فوجدته قاعداً بين ثقيلين . فقلت له كيف الروح الآن ؟ قال في النزع .

ولعل العنصر العربي بطبيعته وأصل غريزته يكره الثقالة وينفر منها . واذا رأيت عربياً ثقيلاً أو يألف الثقلاء . وبحثت عن نسبه وجدت فيه عرقاً اعجمياً .

هذا معن بن زائدة (أمير العرب المشهور) كان اذا تذاكروا بين يديه في ملذات الدنيا يقول : (ان الوقيعة في الثقلاء من الملذات) ومعنى الوقيعة فيهم غيبتهم وذكرهم بسوء . دعونا من (معنٍ امير العرب) ودونكم ما روي عن (عليٍّ امير المؤمنين) فقد روى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(يمان بن ربيعة) أن رجلاً قال لسيدنا علي (ثبتك الله يا أمير المؤمنين) فقال (على صدرك) يعني ثبتني الله في القعود على صدرك فأتتلك أو أثقل عليك كما ثقلت عليّ بهذا الدعاء . ولعل في جو هـذه الحادثة ما يمهد العذر للامام عليّ كرم الله وجهه في أن يظهر كل هذا الضجر من ذلك الرجل الذي دعا له .

وروى الامام ابن المرزبان في (كتاب الثقلاء) خبراً عن عليّ رضي الله عنه له علاقة بالثقالة وهو أغرب من الخبر السابق :

تعلمون أيها السادة أن الاشتر النخعي من اكبر قواد سيدنا علي وأشد شيعته حباً له . ومغامرة في سبيله . وهو الذي شرب العسل في طريقه الى مصر فمات . فبلغ معاوية الخبر فقال (ان لله جنوداً منها العسل) .

فقد روى المؤلف ابن المرزبان قال: حدثنا ابو العباس عبدالله بن نصر حدثنا الحسين ابن علي حدثني محمد بن ابي الحرث حدثنا سفيان بن عيينة عن مخلد عن الشعبي قال: أخبرني عبد الله (ولعله يعني ابن عباس) أن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يستثقل الاشتر اه.

هـذا هو الخبر بسنده ومتنه . وهو محل غرابة لا يكشف سرها الا المؤرخون المدققون في أخلاق السلف .

وأبشع انواع الثقالات (الثقالة المسجلة) تلك التي يكتبها الثقيل بقلمه في مكاتباته : فقد ولد لبعض فضلاء بغداد (واسمه ابراهيم . على اسم سيدنا ابراهيم الخليل) ولد سماه محمداً (باسم النبي صلى الله عليه وسلم) فأرسل اليه ثقيل من اهل البصرة ينئه به فقال (بلغني انك سميت ابنك محمداً . وانت الى أعمال الانبياء . احوج منك إلى اسمائهم . وقبل هذا كان سماك ابوك إبراهيم . فما منعتك هـذه التسمية من سفك الدم الحرام . وشرب الكواب المدام . واكتساب المال من الآثام . وما أدري كيف ادعو لابنك : إن دعوت له ان يشبهك فالعار والنار وان دعوت ان لا يشبهك فالظنة والتهمة والشناراه) يعني اذا كان الولد لا يشبه اباه كانت امه موضع تهمة والعياذ بالله تعالى .

واستثقال بعض افراد العائلة لبعضهم من اشد منغصات العائلة : كتلك الاعرابية المسكينة التي أعيتها ثقالة بعلها فهربت من بيته وقال فيها شاعر القبيلة :

(وتاركة للبيت من ثقل بعلها كأن بعينيها قذى منه تهمل)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(تود على حسن التبعل انها رأت بعلها بين العمودين يحمل)

ومعنى قولها (حسن التبعل) انها وان كانت تربت على طاعة بعلها وحسن معاشرته كما امرها الله والرسول لكن ثقالته جعلتها تهرب منه وتتمنى ان يموت ويحمل بين عمودي النعش .

ومن هذا القبيل ماروي عن الاعمش انه استثقل جلساءه يوماً فهرب منهم الى داخل الدار . ثم لم يلبث أن عاد اليهم فقالوا له مالك عدت ؟ فقال هربت منكم فاذا في البيت من هو اثقل . قالوا من ؟ قال : زوج بنتي .

والاعمش على جلالة قدره وحبه للنكتة يوجد في الامة العربية من هو اكبر مقاماً . وأحب للنكتة منه : ذلك هو الامام الثوري رضي الله عنه فقد سأله سائل ثقيل عن المسح على اللحية في الوضوء ؟ فقال له : خللها (اي ادخل أصابعك المبللة في خلال شعرها زيادة في التنظيف) فقال له الرجل (اتخوّف ان لا يبلغها الماء) . فقال له انقعها من اول الليل .

أما (سويد بن عبد العزيز) فانه لا يعجبه هذا من الثوري ولا يرضيه اطالة الحديث مع الملحين في السوآل . فهو ينصح ويقول : اذا ثقل عليك احد في سوآله فألزمه عيناً عميا وأذناً صما .

قلنا ان أعراب البادية تغلب عليهم الرقة ولطف الحس والنفرة من الثقالة والثقلاء ولكن مابالك اذا كان اعرابياً وعاشقاً ايضاً كيف تكون رقته ولطافته ؟ فقد روى الاصمعي قال : اراد اعرابي ان يكلم امرأة يحبها . فنظر فاذا رجل يراقبه فامتنع من كلامها وثقل عليه الرجل فما ملك نفسه أن خاطبه بهذه الجمل التي جمعت بين خشونة السب . ونعومة العتب . فقال له : (مالك رماك الله بداء عضال . يفقدني شخصك . ويسكنك رمسك . فقد ثقلت على عاشق مسكين . لم تشبع عينه من سهادها . كما شبعت عيون الناس من رقادها)

وكان ابن مصقلة أرق الناس وأرحمهم بالثقلاء فهو لا ينتهرهم ولا يسبهم . بل يتلطف بهم ويخاطبهم بعبارات غاية في اللين والنعومة فيقول للزائر الثقيل مثلاً (ياهذا داركم بعيدة والسماء متغيمة فقم مصحوباً بالسلامة) .

وقارنوا أيها السادة بين عبارة (ابن مصقلة) المصقولة الناعمة وبين ماخاطب به منصور ابن الحجاج الثقيل فقال (اللهم اقتله . وان كان قتله يقتلني فاقتله واقتلني) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكفي يا سادتي إزعاجكم بأخبار الثقلاء . وقد مضى الوقت أو كاد . وأخشى ان اثقل انا عليكم ايضاً اذا زدت على ماتقدم .

بلى يمكنني أن أزيدكم . لكن زيادة لا تعدونها من التثقيل بل تعدونها من التخفيف وترويح النفس — زيادة من أحب ماتتعشّقه نفوسكم . وترتاح اليه قلوبكم :

تلك الزيادة هي حبُّ النبي صلى الله عليه وسلم للمزح الحق اذ كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً حتى إنه كان له من الصحابة (رضي الله عنهم) من يضحكه واشهرهم في ذلك الصحابي (نُعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري) ممن شهد وقعة بدر رضي الله عنه .

فمن دعابات (نعيمان) أن أعرابياً قصد النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه . فقال بعض الصحابة لنعيمان لو عقرتها فاكلناها . فاننا في شهوة الى اللحم فنحرها نعيمان لهم . وخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى راحلته معقورة فصاح (واعقراه يا محمد) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا ؟ قالوا نعيمان . فلحقه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة واذا بنعيمان قد أختبأ في دار السيدة (ضباعة بنت الزبير) فجعلوا يفتشون عليه . فأشار رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته قائلاً ما رأيته يارسول الله وأشار باصبعه الى حيث كان . وكان مختبئاً في سربٍ تحت أغصان من جريد النخل فأخرجه صلى الله عليه وسلم من مخبأه وقال له :

— ما حملك على ماصنعت ؟

— الذين دلوك عليّ يارسول الله . يعني انهم هم الذين امروه بما فعل .

فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجه نعيمان ويضحك . وغرم ثمن الناقة للأعرابي .

وكان نعيمان يدخل السوق فيشتري من مأكولاتها بالدين ويأتي به النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً أُهدي هذا اليك . ثم إذا طالبه صاحب الهدية بثمنها جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم . ويقول له : أدِّ هذا ثمن متاعه . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان : أو لم تهده اليّ ؟ فيقول : (والله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله) .

فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يكره البؤس والتباؤس . ويحب إحداث المسرة في نفوس اصحابه واهل بيته . ومن قوله في ذلك (ألهوا والعبوا فاني اكره أن يُرى في دينكم غلظة) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الطف الاحاديث النبوية والمسامرات العائلية القدسية ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ان امراةً من أهل مكة كانت تدخل بيوت قريش وتضحك النساء وقد اشتهرت بذلك : قالت عائشة فلما هاجرنا الى المدينة ووسع الله علينا دخلت تلك المرأة عليّ فقلت لها (فلانة ! ! ما أقدمك ؟) قالت (قدمت اليكن) . قلت فأين نزلت ؟ قالت على فلانة و كانت فلانة المذكورة امرأةً من اهل المدينة تضحك نساءها ايضاً .

قالت عائشة وبعد قليل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

فلانة المضحكة عندكم ؟ ؟ قلت : (نعم) . قال :

(فعلى من نزلت) ؟

قلت : نزلت على فلانة المضحكة فقال :

« الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجندة : ماتعارف منها إئتلف . وماتناكر اختلف » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخطوطات المدرسة العثمانية

« بحلب »

كانت في الشهباء مكاتب متعددة في مدارسها وزواياها الكثيرة ، الا ان ايدي الزمان قضت عليها وشتتت شملها والبقية الباقية منها الآن هي في مكتبة الأحمدية والعثمانية والشرفية التابعة للأوقاف والمولوية وهذه المكاتب الأربع لا تمنع يد لامس بالرغم عن وجود محافظين لها . ومنذ ثلاث سنوات وقعت في الأحمدية سرقة مهمة بلغ عدد المسروق منها بالإحصاء الرسمي ٩٠ كتاباً منها ما هو في النفاسة في الدرجة الأولى وكانت النتيجة بعد المحاكمة والتحقيقات الكثيرة تبرئة السارق كأن السرقة لم تكن . ولو وقع اقل من ذلك بكثير في مكاتب اوروبا لقامت القيامة لذلك الحادث وتوالى البحث والتحقيق الى ان تظهر تلك اليد الآثمة وتجازى بما تستحقه .

ومنذ سنتين ايضاً ظفرت عند بعض باعة الكتب بكتاب عليه ختم المكتبة العثمانية فابتعته ممن هو عنده بعد استئذان ادارة الأوقاف عندئذٍ اهتمت الدائرة بعض الإهتمام واحببت على اثر ذلك ان اتحرى هذه المكتبة واكتب ما فيها فباشرت ذلك وعمل فهرس لها ولكن حالت عوائق دون اتمام ما شرعت فيه والآن عدت الى ذلك واتممت كتب التفسير والحديث فأحببت ان اتحف القراء بالنخبة من هذين القسمين اذ لا يخلو ذلك من فائدة لعشاق الكتب المخطوطة النادرة ومحبي الإطلاع على نفائسها .

« كتب التفسير »

الجزء الأول من تفسير الوسيط للامام الواحدي فيه من تفسير سورة الأنعام الى قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن السابع أو الثامن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجزء الثاني منه فيه من سورة يونس الى آخر سورة الكهف لاتاريخ لكتابته ايضاً .

الجزء الثالث منه اوله سورة مريم وفي آخره من سورة الأحزاب الى قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) لم يذكر ايضاً تاريخ كتابته لكنه اقدم كتابة من الجزئين الأولين يظهر انه مما كتب في القرن السادس .

الجزء الرابع منه اوله سورة الصافات الى آخر القرآن محرر سنة ٥٧٢ بخط ابي العباس احمد بن الحسين بن حيدرة السيرافي الواسطي وهذا الجزء اقدم من سابقيه .

نغبة البيان في تفسير القرآن لأبي عبد الله العارف بالله الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري وعليه خطه في اوله وفي آخره في ذيل سماع الكتاب عليه نسخة تامة نفيسة جداً محررة سنة ٦١٣ وهذا التفسير والذي قبله لم يطبعا بعد .

الجزء الأول من النهر للامام ابي حيان محمد بن يوسف آخره قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسول من ربكم) من سورة يونس بخط احمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوخي بمدرسة الكهارية (من مدارس مصر على ما أظن) يظهر انه مما كتب في القرن الثامن .

جزء منه فيه من سورة الأنعام قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه آزر) الى آخر سورة مريم لا تاريخ عليه غير انه على ما ظهر لي مما كتب في القرن الثامن . وهو من وقف الملك المؤيد ابي النصر شيخ اوقفه وما قبله وما بعده على الجامع الذي انشأه بباب زويلة (في مصر) وعليه خط احمد بن علي العلاني .

جزء منه اوله سورة الكهف الى آخر القرآن لا تاريخ لكتابته غير انه مما كتب في القرن الثامن ظناً وعلى الورقة الأولى منه خط العلامة ابراهيم البتروني الحلبي سنة ١٠٤٧

الجزء الأول من النهر ايضاً الى آخر سورة يونس بخط محمد الأشموني بخط عادي محرر سنة ١١٤٧ والثاني منه اوله سورة هود الى آخر القرآن .

تفسير الكواشي المعروف بالتلخيص لأبي العباس احمد بن يوسف الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ الورقة الأولى مذهبة محرر سنة ٧١٠ بخط عمر بن عبد الرحيم الكردري .

إعراب بعض آيات من القرآن العظيم لجمال الدين ابي عمرو المعروف بابن الحاجب نسخة قديمة الخط لا تاريخ في آخرها يرجع عهد كتابتها الى القرن الثامن .

إعراب آيات من القرآن العظيم لأبي عبد الله الحسين بن خالويه المتوفى سنة ٣٧١ الفاتحة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وآيات من جزء عم اسئلة القرآن لمحمد بن ابي بكر الرازي محرر سنة ١٠٥٩ قطع ربع .

ايضاً اسئلة القرآن للرازي نسخة ثانية وصل فيها الى سورة (والتين والزيتون) تنقص اوراقاً .

حواشي قطب الدين على تفسير الكشاف الى اواخر سورة طه .

عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ لابن السمين احمد الحلبي محرر سنة ١٠٥٦ .

ومن هذا الكتاب نسخة ثانية في مكتبة الأحمدية بحلب وربما كان الناسخ واحداً .

أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري .

الزبور قطع كامل خطه حسن محرر برسم عثمان باشا وباني المدرسة العثمانية وواقف الكتب فيها بخط محمد بن عيسى الكردي .

كتاب في القراآت لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني .

حاشية السعد على الكشاف نسخة نفيسة قديمة الخط من الأول الى آخر سورة الانعام .

« نفائس كتب الحديث »

الجزء الاول من المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الامام ابي العباس احمد ابن عمر ابن ابراهيم القرطبي لا تاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن الثامن .

الجزء الثاني منه مثل الاول خطاً وحجماً وعليه خط العلامة ابراهيم بن الملا الحلبي وخط المحدث الشيخ احمد الشراباتي الحلبي .

الجزء الثالث منه مثل الاول والثاني خطاً وحجماً .

الجزء الرابع منه عليه خط الملا ايضاً اوله كتاب فضائل الصحابة الى آخر الكتاب محرر سنة ٧٢٤ بخط محمد بن عيسى بن رزيك محرر الأجزاء التي قبله .

الجزء الأول من شرح الشفا لشيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي المتوفى سنة ١٠٢٤ واسم فتح الغفار قطعه كامل بخط خليل بن محمد محرر برسم نعمة الله افندي الكواكبي نقله من نسخة المصنف .

الجزء الثاني منه . والثالث منه بخط عمر بن احمد محرر سنة ١١٤١ وبه تم الكتاب ومن هذا الشرح نسخ متعددة في الاستانة ذكرت اماكنها في تاريخي (اعلام النبلاء) في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ترجمة المؤلف وهو شرح جليل اعتنى به مؤلفه وقد ذكره الشهاب الخفاجي في مقدمة شرحه للشفاء ·

الجزء الثاني والرابع والخامس من تخريج احاديث الهداية للزيلعي · ومن هذا الكتاب نسخة كاملة في مكتبة الأحمدية بحلب ·

الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحافظ الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ عليه في آخره خط الحافظ محمد بن سعيد الدبيثي وغيره من الحفاظ محرر في بغداد سنة ٦٣٢ بخط محمد بن احمد بن ابي بكر بن خليل البكري · وعلى هذه النسخة وعلى نسخة مطبوعة في الهند طبعت هذا الكتاب في مطبعتي العلمية ·

جامع الأصول للإمام بن الأثير وهو الذي جمع فيه الكتب الستة مجلد ضخم قطع كامل مذهب الصحيفة الأولى جميل الخط لاتخاله الا طبعاً وفي آخره رجال الكتب الستة لاتاريخ لكتابته ويظهر انه مما كتب في القرن العاشر في بعض بلاد العراق [1] ·

فتح المتعال في مدح النعال للعلامة احمد بن محمد المقري المغربي التلمساني نزيل القاهرة مجلد واحد نسخة المصنف كما هو مذكور في آخره وفيه سبعة رسوم لنعل النبي صلى الله عليه وسلم ملونة بالألوان البديعة وفي آخرها تقاريظ لعلماء عصره من علماء الديار المصرية آخرهم سيدي محمد بن رأس العين · وهذا الكتاب طبع الآن في الهند ·

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض للشهاب الخفاجي في مجلد ضخم مذهب الورقة الأولى محرر سنة ١١٢٩ ·

توثيق عرى الأيمان في تفضيل حبيب الرحمن للامام العلامة الشيخ ابراهيم بن البارزي الحموي · مجلد واحد ضخم · النسخة مقروءة على المؤلف سنة ٧٣٣ وهي بخط علي بن جمعة ابن ابي الحسن الشافعي الهلالي الحموي حررها سنة ٧٢٢ · وهذا الكتاب نادر الوجود ولا اعلم له نسخة ثانية ·

---

(١) في مدرسة يحيى باشا في الموصل نسخة في مجلدين ورقها حريري جلد محلى بخط حمو الكردي في الموصل خطها في غاية الجودة وقد رتب حواشيه احسن ترتيب · اه مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلبي ص ٢٣١ ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكاشف في رجال الكتب الستة للحافظ شمس الدين عبدالله محمد الذهبي نسخة نفيسة جداً محررة سنة ٧٥٦ اي بعد وفاة المؤلف بقليل ومقابلته ٠

دلائل النبوة للحافظ البيهقي مجلد ضخم بخط مغربي محرر سنة ٨٧٤ بخط محمد بن محمد ابن عبد الله بن بن اسماعيل الدفتري المالكي ٠

جزء منتخب من تهذيب الكمال للمزي اختصار عماد الدين ابي بكر بن ابي المجد الحنبلي البعلبكي الأصل المتوفى سنة ٨٠٤ ومعه كتاب الضعفاء المختصر من تهذيب الكمال ٠

الكواكب الدراري في شرح البخاري للعلامة الكرماني نسخة في ٣ مجلدات قطع كامل ٠

خلافة الأئمة الاربعة للامام احمد بن حجر الهيثمي مجلد وسط قطع وسط محرر سنة الف بخط تقي الدين بن الحاج ابي بكر الموقت بجامع الكبير بحلب حسن الخط ٠

شرح الامام سراج الدين عمر بن ابي الحسن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ في اربع مجلدات ضخام المجلد الاول يقنص من اوله قليلاً واولـــ ما فيه باب ما ذكر من ذهاب موسى في البحر الى الخضر عليه السلام ٠

والمجلدات الأربع هي بخط دقيق جداً وناسخها الحافظ الكبير الامام ابراهيم بن محمد ابن خليل سبط ابن العجمي الحلبي المعروف بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ ٠

المجلد الأول محرر سنة ٧٨٥ والثاني سنة ٧٨٦ وعليها خط المؤلف في عدة محلات وقـد حررهما البرهان الحلبي حينما كان في مصر ٠ وجاء في آخر المجلد الثاني ما نصه : ثم بلغ في الثاني بعد المائة قراءة عليّ ومقابلته بأصله نفعه الله واياي ٠ كتبه مؤلفه غفر الله له ٠

والمجلد الثالث والرابع حررهما الحافظ البرهان الحلبي سنة ٨٢١ في حلب في المدرسة الشرفية بهذا الخط الدقيق وفي نهاية الرابع تم الشرح ٠

جاء في كشف الظنون في الكلام على جامع الصحيح للامام البخاري وشروحه في ص ٣٦٦ وشرح الامام سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلداً اوله ربنا آتنا من لدنك رحمة الآية احمد الله سبحانه وتعالى على توالي انعامه الخ قدم فيه مقدمة مهمة وذكر انه حصر المقصود في عشرة اقسام في كل حديث وسماه شواهد التوضيح قال السخـاوي اعتمد فيه على شرح شيخه مغلطاي والقطب وزاد فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قليلاً قال ابن حجر وهو في اوائله اقعد منه في اواخره بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى انتهى .

وذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الحافظ البرهان الحلبي التي نقلناها عنه الى تاريخنا (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (في ج٥ ص٢٠٧) وكتب عنه شرحه على البخاري في مجلدين بخطه الدقيق الذي لم يحسن عند المصنف لكونه كتب في عشرين مجلداً .

وجاء في ترجمته بعد ذلك واجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفن (فن الحديث) اجتهاداً كبيراً وكتب بخطه الحسن الكتب فمن ذلك كما تقدم شرح البخاري لابن الملقن بل فقد منه نصفه في الفتنة (فتنة تيمورلنك) فأعاد كتابته ايضاً اه .

ويستفاد من كلام الحافظ السخاوي انه كتب جميع الشرح في مجلدين وليس كذلك لما تقدم من انه كتب النصف الأول في مجلدين سنة ٧٨٥ وسنة ٧٨٦ ويحتمل انه تم كتابة الجميع في اربع مجلدات ثم فقد منه النصف الثاني في الفتنة فأتمه في مجلدين سنة ٨٢١ بالمدرسة الشرفية في حلب .

وولادة الحافظ البرهان الحلبي سنة ٧٥٣ وكتابته لهذين المجلدين اللذين يبلغان عشرة مجلدات سنة ٨٢١ فيكون عمره حين اشتغاله بكتابتها ٦٨ سنة ومن هنا تعلم علو همة هؤلاء الرجال وحرصهم على الافادة والاستفادة وان كبر السن لم يكن مانعاً لهم من الاشتغال والتحرير .

وطريقة الامام ابن الملقن في هذا الشرح انه يذكر الحديث بتمامه ثم يشرع في الكلام عليه من عشرة وجوه وهكذا وفي الجملة فهو شرح جليل من اجل شروح البخاري يضاهي شرح العيني وابن حجر ولعله في كثير من المواضع اعظم فائدة منهما ولا يؤثر فيه ما تقدم من قول الحافظ السخاوي .

وهو لعظم فائدته جدير بالطبع فعسى ان ينهض لابرازه الى عالم المطبوعات بعض ارباب المطابع في مصر فتعم الاستفادة منه .

شرح المصابيح للامام فضل الله التوربشتي مجلد واحد محرر سنة ٧١٣ .

شرح المناوي الكبير للجامع الصغير للجلال السيوطي في سبع مجلدات نسخة كاملة .

الجزء الثاني من المناوي ايضاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

القرب في فضل العرب تأليف الحافظ الزين العراقي ·

بهجة المحافل واجمل الوسائل بالتعريف برجال الشمائل تأليف الشيخ ابراهيم اللقاني ·

الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ بن حجر في مجلدين بخط محمد الداغستاني كتبها سنة ١١٢٩ ·

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للامام الزركشي جلد واحد محرر سنة ٨٤٨ ·

الجزء الاول من سنن ابي داود الى آخر الجزء السادس من اجزاء الخطيب وعليه خط الحافظ يوسف بن عبد الهادي وسماعات كثيرة ·

الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ بن عبد البر الاندلسي في اربع مجلدات بخط مغربي وعليها سماعات متعددة مكتوبة بقرطبة والأجزاء بخط ابراهيم بن يحيي بن ابراهيم حررها سنة ٥٢٣ فهي محررة بعد وفاة المؤلف بقليل ولعل هذه النسخة انفس نسخ الاستيعاب الموجودة في الدنيا ·

المنهاج للامام بي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٠٣ وهو من رجال ابن خلكان وهو في ثلاث مجلدات ضخام وهو شرح لحديث واحد وهو قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة آخر الجزء الاول «فصل: فأما الفرق بين دعاء الرجل لغيره بالحضر وبين الشفاعة له» · قال في آخره يتلوه في الجزء الثاني : الثالث عشر من شعب الايمان وهو باب التوكل على الله جل ثناؤه · وهو بخط محمد بن احمد بن سليمان المالكي محرر سنة ٧٤٥ ·

والجزء الثاني ليس عليه تاريخ كتابته لكنه بخط الناسخ الأول وعلى هذا الجزء خط شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي شارح الشفا للقاضي عياض ·

الجزء الثالث منه وهو تتمة الكتاب عليه خط العرضي ايضاً وليس عليه تاريخ كتابته لكن الناسخ واحد · ومنه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ولكن مما يؤسف له ان كثيراً من اوراقه في الأجزاء الثلاثة ملتصقة بعضها ببعض لمطر كان اصاب هذه النسخة وغيرها وذلك لقلة العناية بأمر المكتبة وعدم المبالاة في امر حفظها من امثال ذلك ·

واتمنى ايضاً ان يقيض الله لهذا الكتاب من يقوم بأمر طبعه لينتشر وتعم فائدته ·

الحلية النبوية الشريفة وهي ورقة واحدة فيها صحيفتان فيهما نعت النبي صلى الله عليه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وسلم بخط درويش محمد المولوي بخط جميل جداً الصحيفة اليمنى ضمن سطور مكتنفة بالوان من الاحبار والدهانات العجيبة وموهة بالذهب واليسرى شجرة ملونة كذلك وموهة بالذهب وهي ضمن غلاف من جلد ٠

كتاب فضل الخيل للحافظ شرف الدين الدمياطي المتوفى سنة ٧٠٥ مجلد واحد عليه في آخر صحيفة منه خط المؤلف وسماع عليه سنة ٦٨٩ بالقاهرة وخطه حسن وهو مضبوط بالشكل وهو من نفائس هذه المكتبة ايضاً ٠

وقد وفقت لطبع هذا الكتاب على هذه النسخة وعلى نسخة أخرى هي في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب محررة سنة ٧٢٩ وقد اخذت بالمصور الشمسي صحيفة من تلك وصحيفتين من هذه وطبعت معه كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للعلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩٨ ٠

حلب : محمد راغب الطباخ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رحلة اوليا جلبي

- ٣ -

ثم سرنا الى الجنوب فكنا نجتاز تارةً أماكن صخرية وتارة مستنقعات وآجاماً الى ان وصلنا بعد ست ساعات الى قلعة المضيق(١) . وهي قلعة صغيرة

---

(١) اخطأ الچلبي في المدة التي ذكرها . فالبعد بين جسر الشغر وقلعة المضيق ٤٥ كيلو متراً لا تستطيع القافلة اجتيازها باقل من اثنتي عشرة ساعة . والخارج من جسر الشغر في يومنا يسير باديء بدء في طريق السيارات المعبدة احسن تعبيد الآتية من اللاذقية والمتجهة شرقاً نحو الجبل الوسطاني فسهل الروج فجبل الزاوية فسهول اريحا وادلب وحلب وبعد ستة كيلو مترات يودعها عند مفرق بين قريتي فريكة وسللي وينحرف الى الجنوب فيمر باراضي قرية الزيادية ويلمح عن بعد على يمين العاصي قرى الكفير وقرقور والزيارة . ثم يمر بقرية قسطون التي تعد من اخصب قرى الروج واكثرها غلالاً وكان فيها حصن قال عنه ياقوت : قسطون حصن كان بالروج من اعمال حلب نزل فيه ابو علي الحسن العقيلي في سنة ٤٤٨ فاستولى عليه وخربه اه .

وبعد قسطون ينتهي سهل الروج ويدخل السائح في سهل الغاب متبعاً الرصيف الروماني القديم وهو صنع الذين بنوا مدينة افامية ومدوه منها الى انطاكية ولا تزال احجار هذا الرصيف وامياله ماثلة للعيان في مواضع كثيرة من سهل الغاب وفي الشمال عند دركوش تغيب تارة وتظهر أخرى فتسير في سفح اعضاد جبل الزاوية ولا تفارقه وترى عليه كثيراً من جلاميد الصخور المتدحرجة بفعل العوامل الطبيعية على كر الدهور . واعضاد جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو نسبة لقرية ذكر ياقوت انها من قرى افامية واقفة كالجدار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شرقي سهل الغاب كما ان جبال النصيرية التي كان يدعوها الرومانيون برجيليوس ودعاها ابو الفداء جبل الخيط واقعة في غربيه اما المستنقعات والآجام التي اشار اليها اوليا چلبي فهي بطائح سهل الغاب الفسيح وادغاله وهذه تنقلب في فصل الشتاء الى بحيرة عظيمة تدعى بحيرة افامية تحصل من نهر العاصي الذي لا يجد متسعاً عند قرية قرقور وما بعدها ليجري براحة في زمن طغيانه ثم من الانهر والينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل من الشرق والغرب . وبحيرة افاميه ما برحت كما وصفها ابو الفداء « يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها من انواع الطيور مثل الثمات مثلثة التاء والغريرات والبجع والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل البحلط والابيضانيات وغير ذلك من طيور الماء وفي ايام الربيع ينبت فيها النيلوفر الاصفر حتى يغطي مجموعها اه .

وقال شيخ الربوة : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس لحمه شبيه بالألية المشوية وللناصري (لعله يعني الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم (كذا) داخل البحر ضمانه في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة فامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيها من السمك الانكليس والسلور مالا يوجد بغيرها اه .

ومن الغريب ان جغرافيي العرب واخص بالذكر ياقوت وشيخ الربوة وابو الفداء اكتفوا بوصف بحيرة افامية ولم يذكروا اسم سهل الغاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الا مرة (طبع جامعة برنستون صحيفة ٢١٨) في حكاية « انهزم فيها السبع الى الغاب » . ولم أفهم اي غاب كان يعني . لأنه ذكر هذا السهل في موضع آخر (صحيفة ٥٨) باسم مرج افامية وانه استاق منه غنيمة كبيرة من الجواميس والبقر والغنم . اما كتبة الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن السلوقيين مجففاً يزرع ويستثمر وان استرابون اطنب بخصبه ووفرة غلاله وربما كان يربى فيه من قطعان الجواميس والخيل وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طغيان العاصي . ذكر السائح الافرنسي « كيليوم راي » انه شاهد منها في سنة ١٨٦٠ سداً له فتحات وفي جنوبي الغاب ضيعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تدعى الخندق في جوارها خندق قديم كان خاصاً بتصريف المياه نحو العاصي وكانت برزية تفترق عن افامية ببحيرة تحصل من سد على النحو الذي ذكره ابو الفداء فيما ننقله عنه في وصف برزية . هذا وقد درس المهندسون في زمننا مشروع تجفيف الغاب وتنظيم طرائق ريه واعداده للحرث والزرع ولا يعلم متى يمكن البدء بالعمل . فممن عُني بهذا المشروع وكتب عنه تقريراً ضافياً المهندس ويلهلم مستشار وزارة الاشغال العامة في حكومة الاتحاد السوري الملغاة في سنة ١٢٤٤ قال ماخلاصته : بعد ان يجتاز نهر العاصي حماة يجري في واد يختلف سعةً وضيقاً بين مكان وآخر ثم يسيل في مضيق عميق الغور ينفرج فجأة في بدء سهل متسع يبدأ من قلعة شيزر وعلى بعد عشرة كيلو مترات من هذه القلعة يصبح السهل مستنقعاً ويدعى (الغاب) وهو يبدأ من قرية تل سلحب وينتهي قرب قرية قرقور وطوله ستون وعرضه عشرة كيلومترات ومساحته ٦٠٠٠٠ هكتار وأرضه تتألف من تربة عميقة ينساب العاصي فوقها محاطاً بالمستنقعات الكثيرة وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في اليمنى . لكن هذه التربة تصبح بعد قرية قرقور مؤلفة من الحرار فيعود العاصي للجري في واد ضيق تحيط به الجلاميد العظيمة العالية . يبقى العاصي هادئاً سالكاً مجراه خلال اشهر الصيف . فاذا جاء الشتاء يرتفع مستواه فيطفو على الارضين المحيطة به وهي مساوية له في الارتفاع فيغمرها الى مسافات بعيدة ناهيك بالامطار التي تهطل هنا اي تهطال ، والسيول التي تتساقط من الجبال المجاورة والينابيع التي تنبجس من سفوحها . وتجفيف سهل الغاب واستثماره حسب الاساليب الزراعية الحديثة مشروع عظيم ينفع بلاد الشام ويدر عليها ارباحاً جزيلة لان ارضه مؤلفة من طمي الحرّات المعروف بخصبه ووفرة مواده الغذائية . ولاجل ذلك ينبغي منع فيضان العاصي عليه ثم تجفيفه باقامة مجار كثيرة للصرف ثم ريه خلال اشهر الصيف بشبكة من القنوات . ففيضان العاصي يمنع تعميق مجراه واقامة جدرانه وتخفيض السد الموجود امام قرية قرقور . ولا صعوبة في هذا العمل لولا انه كثير النفقات . ويقام سدان عظيمان من التراب على ضفتي العاصي يبعد الواحد عن الآخر ٤٠٠ — ٥٠٠ متر حتى اذا ما طغى العاصي كان للماء من سعة الارض بين السدين ما يحول دون انهدامهما . ويحفر في جانبيهما الايسر وفي قاعدتيهما خنادق او مصارف للمياه المنصبة من السهل فتوصلها الى العاصي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في نقاط مناسبة منه . وقد حسبوا كمية ماء العاصي في اوائل الخريف بالامتار المكعبة وفي الثانيـة فبلغت عند خروجه من شيزر ١٨ وفي مصبه عند قرقور ٣٧ وتغذي هذه الزيادة الينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال وتنبع في جوانب السهل ، واهمها نبع (باب الطاقة) في الضفة اليمنى فان قوة مائه لا تقل عن المترين المكعبين في الثانية . هذا وليست الاراضي القابلة للري منحصرةً في سهل الغاب بل هناك سهول ونجود واسعة تمتد من قلعة شيزر على ضفتي نهر العاصي يسهل ريها فيقام لهذه الاراضي في زور (الترعة) سد قليل العلو يسقي قناتين الواحدة لري ارض الضفة اليمنى والثانيـة لري الضفة اليسرى وطول كل منهما ٧٥ كيلو متراً ثم يبنى في نقاط مختلفة وعلى طولهاتين القناتين مأخذ يجري الماء منها الى قنوات ثانوية ومن هذه الى قنوات التوزيع على الحقول، فيصبح الغاب مخترقاً بشبكة من القني تسوق الماء الى مختلف مواقعه واراضيه وما فاض منها يصب في العـاصي امام قرقور . والمساحة الممكن ريها بعد اتمام هذا المشروع الكبير تقرب من تسعين الف هكتار وهي تنتج احسن الغـلال من القطن وغيره لزكاء التربة كما اسلفنا وغزارة مياه الري وجودة الاقليم اذ السهل لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٠٠ متر وجبال النصيرية تدرأ عنه الرياح الغربية اه .

هذا والسائح يدخل بعد قسطون في سهل الغاب فيمر بضياع تدعى قليدين والعنقاوي والعمقية وحواش والحويجة والحويز وبعض سكان هـذه القرى بدو حراثون يدعون ان جدودهم جاؤا من بطائح الفرات في العراق ، ويمر بالعريمي والجماسية والشريعة والتويني الى ان يصل الى قلعة المضيق . ويلمح في وسط سهل الغاب ضياع تكون في ايام الفيضان كالجزائر لا يوصل اليها الا بقوارب رفيعة تدعى الجروف منهـا الجيد والرصيف والقريم والخندق واهلها نصيرية . وبيوت ضياع الغاب اخصاص حقيرة تحيط بها الأدغال والمياه واهلها صفر الوجوه هزلى يتنقلون كسكان اواسط افريقية في القوارب التي ذكرناها ويعيشون على تربية الجاموس وصيد السلور الذي يرسل في فصل الشتاء لاكثر بلاد الشام الشمالية حيث يؤكل بكثرة ويصطادون الطيور المائية وعد ابو الفداء بعضها فينتفون ريشها ويلتقطون بيوضها ويزرعون الذرة البيضاء في الارض التي تنحسر عنها المياه في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من اعمال أيالة حلب بنيت قرب بحيرة تسمى باسمها فوق هضبة مشرفة على السهول والآجام المحيطة بها . وقد سميت بالمضيق لان الذي بناها كان من وزراء نور الدين الشهيد واسمه مضيق(١) . ثم غادرناها فوصلنا بعد سبع

الصيف . ونبع الطاقة من احسن اماكن صيد السلور لانه حينما يقرس الشتاء وتبرد مياه العاصي يلجأ السلور الى مياه هذا النبع الدافئة في كثرة هائلة فيسطو عليه اهالي الغاب ويصطادونه بحراب خاصة . وجبال النصيرية المطلة على سهل الغاب من علو ١٦٥٠ متراً تمادون تنحدر نحوه بميل سريع فتؤلف بقعة وعرة يدعونها (الشعرة) فيها وهاد سحيقة وعقبات كأداء تزينها الغابات الغبياء من مختلف الأشجار والأنجم وتسرح فيها النمور والدب والذئاب وقطعان الخنازير البرية يقصدها غواة الصيد منذ القديم . وفي سفح هذه الجبال على يسار العاصي مما يتبع قضاء صهيون من اعمال حكومة اللاذقية قرى سرمانيا وبرزية وفريكة ونبول وشطحة واستركي وغيرها وسكانها نصيرية . وصف ابوالفداء برزية وقلعتها فقال : حصن برزية من جند قنسرين قلعة صغيرة في ذيل الجبل المعروف بالخيط من شرقيه مطلة على بحيرات فاميا ويتصل بها مياه البحيرات والأقصاب الى تحت برزية وليس بها كائن ساكن الا المرتبون لحفظ القلعة ويعتصم بها اهل البلاد في ايام الجفل وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء فان بحيرات فامية واقعة بينها وبرزية في جهة الجنوب عن الشغر وبكاس على مرحلة قوية اه . وفي أعالي هذه الجبال المطلة على البحر من القلاع التاريخية التي ذكرت في وقائع الصليبيين والاسماعيليين ايدو وصهيون والمهيلبة (بلاطنس) وثمة قرى وضياع كثيرة منتثرة بين أودية هذه الجبال وآجامها الوعرة وفيها الحراج الغبياء والينابيع السارية والمناظر الجميلة . وبعد ان بقيت هذه القرى في السنين الخالية في منعزل لاتنالها ايدي الجيوش الا بالعناء لوعورة مسالكها وجلفة اهلها ذللت في العهد الأخير صعابها ومهدت شعابها فصارت السيارات تجول فيها وجعل في بعض قراها المرتفعة الجيدة الهواء والماء والمنظر كصلنفة أماكن للاصطياف والقصف على الطراز الحديث .

(١) قلعة المضيق هي قلعة مدينة أبامية القديمة التي كان يدعوها مؤرخو العرب تارة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باسم فامية وتارة أفاميـة وقد ذكرت في شعر ابي العلاء بالالف حيث قال : ولولاك لم تسلم أفامية الردى . قال عنها ياقوت في المشترك : أفامية مدينة عظيمة قديمة على نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب اه . كان اسم هذه المدينة قديماً فارناك ثم دعاها الاسكندر المكدوني بلالا باسم البلدة التي ولد فيها ابوه فيليب وبعد موته دخلت في حوزة سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية فزاد في عمرانها وتحسينها ودعاها باسم امرأته الاميرة الفارسية اباميا وجعلهـا موقعاً عسكرياً مجهزاً بجميع العدد والعدد والمصانع والاصطبلات وشاد فيها مدرسة حربية للفرسان ، وخصب سهل الغاب القريب منها ووفرة مراعيه ذخر فيها مئات من الفيلة المجلوبة من الهند وعشرات الالوف من الجياد والجواميس . وظلت أفامية في عهد السلوقيين زاهية بعظمتها وجمالها ووفرة سكنها ورفههم تحسب الاولى بين مدن الشام الشمالية بعد العاصمة انطاكية الى ان جاءها كيخسرو الثاني ملك الفرس في سنة ٥٧٣ ميلادية فنهبها وأحرقها وسبى أهلها وجاءت الزلازل فقضت على مابقي منها قائماً ولم يرتفع لها شأن بعد ذلك ولم يبق الدهر من تلك المدينة الجميلة سوى حصنها الذي كان مبنياً فوق تل قريب في غربيها دعي بعد حين باسم قلعة المضيق . ولما فتح المسلمون هذه الديار شاهدوا افامية خراباً كما هي الآن فاكتفوا بحصنها ولم يعمروها قط وهم اذا ذكروها عنوا حصنها والقرية المبنية داخله . قال البلاذري : سار ابوعبيدة في سنة ١٧ بعد افتتاح شيزر الى فامية فتلقاه اهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . وذكر ياقوت حادثة جرت في ايام العباسيين للمتولي عليها وكان رجلاً كردياً أغرى القرامطة في سنة ٢٩٠ باهل المعرة فقتلوهم قتلاً ذريعاً فلما انقلبت الآية وقتل رئيس القرامطة عوقب الكردي فهرب والقى بنفسه في بحيرة افامية فقال فيه احد شعراء المعرة :

توهم الحرب شطرنجاً يقلبها ... للقمر ينقل منه الرخ والشـاها
جازت هزيمته أنهـار فامية ... الى البحيرة حتى غط في ماها

وفي العهد العباسي ظلت تتعاور حصن افامية أيدي الامراء التـابعين للفاطميين والسلجوقيين وفي الحروب الصليبية استولى عليه تنكرد برنس انطاكية وبقي بيد الصليبيين نحو نصف قرن ثم جاءه نور الدين الشهيد في سنة ٥٤٥ فاستخلصه منهم . قال ابن الأثير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين الشهيد الى حصن افامية وهو للفرنج ايضاً وبينه وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احسن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فسار نورالدين اليه وحصره وملكه وحصنه بالرجال والذخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنه فملكه قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا اه . وفي الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ خرب حصن افامية فيما خرب من بقية الحصون والمدن في شمالي الشام فرممه نور الدين واليه بنسب معظم مبانيه . وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي في سنة ٥٨٩ استقر هذا الحصن ومثله حصون برزية وكفر طاب وبعرين بيد الأمير عز الدين ابراهيم بن المقدم ثم اخيه شمس الدين عبد الملك من بعده . لكن ابن صلاح الدين الملك الظاهر غازي صاحب حلب استخلصه منه ولما زالت دولة الايوبيين عن الديار الحلبية انتقل حصن افامية كغيره الى يدي المماليك . ولا يعلم اذا كان جيش هولاكو التتري وصل اليه في ذلك العهد ونال منه . وفي سنة ٦٦٨ جاء الملك الظاهر بيبرس الى حصن افامية وجمع جيوشه فيه ثم زحف منه على انطاكية واستولى عليها وفي ايام الملك المنصور قلاوون كان حصن افامية في حوزة الأمير الثائر سنقر الأشقر . وبعد خروج الصليبيين وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لهذا الحصن مكانة حربية بل ظل كما هو الآن عبارة عن قرية يعتصم اهلها فيها من هجمات البدو والنصيرية وهؤلاء كثيراً ما كانوا يغيرون عليها وعلى غيرها من القرى ايام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

هذا ومدينة افامية لا تزال على ما فعل بها الفرس خراباً يباباً ترتاع الزائر بفخامة اطلالها وجمال رسومها وعظمة مساحتها البالغة مائتي هكتار . ففيها انقاض سورها القديم وكان تليه ابواب لم يبق منها الا الباب الشمالي الذي قنطرته واطلال البرجين المحيطين به مائلة . وثمة شارع عظيم مستقيم يمتد من الشمال الى الجنوب طوله يزيد عن ١٦٠٠ متر كان على جانبه صفان متقابلان من الاعمدة الجسيمة لا تزال قواعدها او بعض اقسامها المهشمة ظاهرة . وهناك شوارع أخرى مستقيمة تتشابك في مواقع عديدة مع الشارع الاعظم . وحول هذه الشوارع تجد ابنامرت دوراً وقصوراً متهدمة وجدراناً متداعية واحجاراً منحوتة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مبعثرة وقواعد وتيجان اعمدة واعمدة طويلة ضخمة متعددة او منتصبة سطوح بعضها مستوية وسطوح الأخرى مخرمة بخطوط مقعرة وناتئة مستقيمة او حلزونية وكلها من الصخر الجيري الأشهب الذي قضمه الطحلب وفعل فيه كر الدهور . وقد كانت افامية في عهد أسامة بن منقذ على هذه الحالة اذ يقول في كتابه الاعتبار صفحة ٤٧ «وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم — يعني الافرنج — في الخراب الذي لها وهو مكان لا ينصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب» . قامت بعثة اثرية بلجيكية منذ خريف سنة ١٣٤٩ بحفر تلك الخرائب فكشفت آثار عديدة بانت منها شوارع المدينة وبعض مبانيها وجدرانها وكثير من تيجان الاعمدة وقواعدها المنقوشة والمخططة باشكال واغصان جميلة ونبشت البعثة مركز توزيع المياه الآتية بقناة عظيمة من شمال البلدة واظهرت الاسواقات الحجرية الضخمة والقساطل الخزفية الصغيرة التي كانت تتألف منها قنوات الماء الموزعة على المدينة كلها باسلوب غاية في الاتقان والمتانة واطلعت على بعض الآثار الخاصة بعبادة باخوس اله الخمر وهي دائبة على العمل في خريف كل سنة وعساها تتوفق لاظهار دفائن هذه المدينة التاريخية الجميلة .

اما حصن افامية فلا يزال فوق تله الكبير العالي يشرف في الغرب على جبال النصيرية وعلى سهل الغاب ووادي العاصي وفي الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشبو وفي الجنوب والشرق على سهول ناحيتي طار العلا وخان شيخون . وكان يحيط بالتل خندق عظيم زال معظمه على انه ليس في هذا الحصن قلعة كبيرة كما في حصن شيزر وحصن الاكراد بل سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم تتخلله ابراج كثيرة مربعة الشكل وفي اسفل السور رصيف من الحجارة كان التل مصفحاً به كما في قلعة حلب وحمص وغيرهما وقد خرب القسم الغربي من السور كما ان المباني التي كانت تعلوه دثرت بالكلية . وفي شمالي الحصن برج جميل البناء في وجهه القبلي كتابة تحوي اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها ٦٠٤ وفي قبليه باب كبير ذو قنطرة يدخل منه الى القلعة يحرسه برجان متقاربان وعلى الباب كتابة تحوي اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب وهو حفيد الظاهر غازي تاريخها ٦٥٤ . وهاتان الكتابتان ، وفقدان كل اثر للسلوقيين والصليبيين ، وشكل الابراج المربعة واقسامها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الداخلية والاعمدة التي حشيت في عرض جدرانهـا ، وشكل برجي الباب اللذين يؤلفان ما يسمى في كتب العرب باشورة كل ذلك يدل على أن بناء هذا الحصن عربي صرف وكذلك طراز هندسته وهو من آثار نور الدين محمود بن زنكي والأيوبيين من اعقاب صلاح الدين حكام حلب . هذا والقرية التي في داخل الحصن كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو الفين حافلة بالدور المبنية من انقاض السور والابراج واهلها يصعدون وينزلون كل يوم الى مزارعهم ومراعيهم التي في اسفلهـا وجوارها ويشربون من الينابيع التي في سفح التل وشأنهم في الهزال واصفرار الوجوه شأن بقية قرى الغاب الا قليلا . وفي خارج الحصن على مقربة من بابه القبلي جامع صغير حسن البنـاء من عهد العثمانيين لكنه اصبح خرابًا مهجوراً وفي قربه خان خراب من آثار الوزير سنان باشا الشهير كانت تأوي اليه قوافل التجار والحجاج القادمة من انطاكية الى حماة وماوراءها . واقاموا في غربي الحصن على احد روافد العاصي سداً له فتحات يحصل بسببه بحيرة تمتلئ بالسمك فيصطادونه . وقد اتخذت قرية قلعة المضيق قاعدة لناحية الحقوها في السنين الأخيرة بقضاء المعرة تتبعها القرى التي تقدم ذكرها في بحث سهل الغاب . ولا يعرف العهد الذي تبدل فيه اسم حصن افامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ القديمة فصار قلعة المضيق ولم اعلم من اين اتى اوليا چلبي برواية ان احد قواد نور الدين الشهيد كان اسمه مديق او مضيق تولى عليها مدة فسميت باسمه . ولم اعثر في كتبنـا القديمة على كلمة المضيق الا عرضًا في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الموقعة التي جرت حول افامية في سنة ٣٨٧ لما حاصرها الروم وضايقوا اهلهـا وجاء جيش ابن الصمصامة والي دمشق لاستخلاصها فكسر الروم وقتل ملكهم قال : وكانت الوقعة في مرج افيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة اه . فيظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى مرج افامية وقلعة المضيق حصن افامية وذيل جبل الزاوية المشرف على هذه القلعة المضيق ونهر العاصي النهر المقلوب ، ولم يشذ احد من الكتب التي اطلعت عليها عن ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ساعات الى قلعة شيزر (١) .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) بعد قلعة المضيق يجتاز السائح وادي الجفر ويتجه جنوباً فيغادر ولاية حلب ويدخل ناحية طار العلا من اعمال لواء حماة التابع لدمشق ويمر في سهول بعيدة الاطراف لا شجر فيها ولا حجر ذات تلعات متموجة وتلال بعثرت فيها كثير من القرى والضياع ومضارب البدو فيمر من ضياع صغيرة كالجرنية وحيالين وجملة وتل ملح ويرى على يمينه على سيف الغاب الصقيلبية ذات الدور البيضاء وهي كبيرة واهلها روم ارثوذكس يبلغون الالفين اشتهرت بقمحها الذي يتخذ للبذر في الديار الحموية وقرى صلبا والعونية وكفر يهود وثمة على العاصي عمورين والعشارنة والتريمسة او تل الترمسي كما قال أسامة وفي العشارنة جسر على العاصي يجتازه قاصدو جبال الكلبية وقراها . وفي شرقي هذه الطريق كفر نبوذا ومغير وكرناز وبربديج والشيخ حديد وجبين والزلاقيات ووراء هذه القرى كفر زيتا واللطامنة ومورك الشهيرة ببطيخها وصوران وطيبة الامام . وهكذا الى ان يهبط السائح وادي العاصي ويصل الى جسر شيزر وقلعتها بعد اجتياز ٢٧ كيلو متراً . وكل هذه القرى التي عددناها ذات تربة رملية طينية حمراء معروفة بخصبها وانباتها الزروع الصيفية والشتوية عذباً وبيوتها في الضياع تكون اكواخاً مستطيلة من القصب والقش يدعونها طامات وفي القرى قباب مخروطية او دور حجرية . ذكر ياقوت في معجمه من هذه القرى عمورين وسماها عمورية ودعاها بليدة وهي الآن ضيعة صغيرة قال : عمورية بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل وافر ولها رحى تغل مالاً اه . وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار اسماء كفر نبوذا وتل ملح وتل التلول . وقال ان تل ملح كان مكمناً للافرنج عند اغارتهم على شيزر .

وجبال النصيرية المشرفة على هذه الطريق تعد من الشعرة التي تقدم ذكرها ووصفها في سفحها من القرى الجديرة بالذكر مرداش وعناب وعين الكروم وهذه كبيرة ذات اربع ضياع اتخذت مركز ناحية وفقرو وحدادي ، وكل هذه القرى على سيف الغاب وثمة عين تدعى عين الجراص في قربها هضبة قامت عليها ضيعة تدعى قلع الشيخ ملوخ يلوح لي انها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكان حصن الجراص الذي استخلصه ابو الحسن علي بن منقذ من الروم قبل ان يستلم منهم شيزر في سنة ٤٧٤ . قال البستاني في دائرة المعارف عن عناب التي تناوح قلعة المضيق انها هي آنب التي حدثت حولها في سنة ٥٤٤ هـ معركة هائلة بين نور الدين وريموند دوبواتية برنس انطاكية فانتصر نور الدين وهنأه القيسراني بقصيدة جاء فيها :

وعسكرك الذي استولى مسيحًا على ما بين فامية وسيح
بآنب يوم ابرزت المذاكي من النقع الغزالة في مسوح
غداة كأنما العاصي احمراراً من الدم عبرة الجفن القريح

وجاء في كتاب الدليل الازرق لمونمارشة ان هذه المعركة حصلت عند ضيعة تدعى إنب في سهل الروج وفي خطط الشام للاستاذ كرد علي ج ٢ ص ٢٣ ان إنب هذه من اعمال اعزاز . على ان اوصاف القصيدة تنطبق في الغالب على عناب القريبة من افامية والعاصي بينما إنّب الروج او تنّب اعزاز بعيدتان عنهما .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٣ —

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأهوازي قال حدثني ابو الفضل البلخي الفقيه قال حدثني الخليل بن احمد السجستاني قاضيها قال قدم علينا صاحب جيش خراسان من قبل نصر بن احمد ومعه خلق عظيم من الجيش فملك سجستان واكثر أصحابه الفساد في البلد وامتدت أيديهم الى النساء في الطرقات قهراً . قال فاجتمع الناس اليّ والى فلان الفقيه وقد ذكره البلخي وأنسيته انا وشكوا الحال فمضينا معهم الى صاحب الجيش فدخلت اليه انا والفقيه وجماعة من رؤساء البلد وكان المبتدئ بالخطاب الفقيه فوعظه وعرفه مايجري قال فقال له ياشيخ ماظننتك بهذا الجهل معي ثمانون الف رجل نساؤهم ببخارى فاذا قامت .... كيف يصنعون ؟ ينفذونها بسفاتج الى حرمهم ؟ لا بد لهم ان يضعوها فيمن هاهنا كيف استوى لهم هذا الامر فلا يمكني (١) افساد قلوب الجيش بنهيهم عنه فانصرف . قال فخرجنا . فقالت لنا العامة

(١) كذا بالاصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ايش قال الامير قال وأعاد عليهم الفقيه الكلام بعينه فقالوا هـذا القول منه فسق وامر بالفسق ومكاشفة بمعصية الله تعالى فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول ؟ فقال لهم الفقيه نعم قد حل لكم قتاله قالوا : فتأذن قال : نعم . قال فبادرت العامة وانسللنا من الفتنة فلم نصل المغرب من تلك الليلة وفي البلد احد من الخراسانية . قال : لانه اجتمع من العامة من لا يضبط عدده فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية واستحر القتل فيهم ونهبت دار الامير وطلبوه ليقتلوه فافلت على فرسه ومعه كل من قدر على الهرب ومضوا على وجوههم فما جاءنا بعدهم جيش من خراسان اصلاً .

***

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن ابي علان قال حدثني ابن ابي القاسم قال كنت اكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز فكتب علي بن عيسى يطالبنا بالحساب فتقدم الى ابي احمد عبيد الله بن الحسن بعمله وبالخروج للموافقة عليه وذلك في سنة ٣٠٦ قال : فجمعت الحساب وحملت (١) جماعة (٢) لسنة ٣٠٥ بارتفاع مال الخراج بالأهواز و كورها سوى الضياع فكان مبلغ ذلك ستة عشر الف الف وثمانمائة الف درهم و كسر و كلها قد صح في الاستخراج ولم يبق للسلطان الا نيف واربعين (٣) الف درهم قال فكان مال الضياع يقارب هذا الا انه لم يكن في حسابنا .

(١) لعلة وحصلت وعملت . (٢) قال في مفاتيح العلوم : الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل . (٣) كذا بالاصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حدثني عبدالله بن عمر الحارثي قال عجل عليّ الشيب فغمني ذلك وفكرت في ان أُخضب لحيتي فنمت فرأيت في النوم كأني أُشاور طبيباً في خضاب فقال لي لاتحتاج الى خضاب ولكن أصف لك شيئاً يسوّد الشعر ويحفظ لونه ويمنع من السواد ان يبيضّ . خذ دهن النرجيل العتيق وزن خمسة دراهم ومن الاهليلج الأصفر وزن نصف درهم ومن النوشادر وزن دانق واسحق الجميع ودفه بالدهن حتى يختلط واطلِ به الشعر فانه يسودّ . فانتبهت وقد حفظت ذلك فعملته فاسودّ شعري وتأخر الشيب عني دهراً طويلا .

* * *

وحدثني قال كنت في شبابي أتمتع بالجواري والمماليك فكان العزل يثقل عليّ جداً فاشتريت جارية بدنانير كثيرة وكنت أخاف ان تحبل فيذهب ثمنها فنمت مشغول القلب بذلك فرأيت قائلاً يقول اذا أحببت ان لاتحمل المرأة فخذ بنجاً واسحقه واعجنه بلبن فرس وجففه واجعله في كيمُخْت (١) وعلقه على المرأة فانها لاتحبل فقلت له ما سمعت هذا من طبيب . قال : ان أحببت ان تمتحن صحة ذاك فخذ هذا الدواء واجعله في قارورة ماء واجعلها على النار واوقد تحتها فانه لايغلي ولو مكث سنة قال وانتبهت وجربت ذلك فوجدته صحيحاً .

* * *

وحدثني ايضاً الحارثي قال حدثني ابي وكان يخدم في دار الموفق والمعتضد بعده . ان المعتضد أراد ان يشهد على نفسه العدول في كتاب صدره

(١) نوع من الجلد مأخوذ من كفل الفرس أو الحمار ومدبوغ دباغة خاصة :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(هذا ما شهد عليه العدول جميعاً ان امير المؤمنين عبد الله ابا العباس المعتضد بالله اشهدهم على نفسه في صحة منه وجواز امره) وعرضت النسخة على عبيد الله ابن سليمان فضرب عليها وقال هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة اكتبوا (في سلامة من جسمه واصابة من رأيه) .

قال لي الحارثي استهديت من صديق لي نبيذاً فانفذ اليَّ نبيذاً حامضاً فرددته عليه و كتبت اليه الجيران : أحق بهذا من الاخوان . ووصف لنا مرة نبيذاً طرياً شربه فقال هو دواء الفهم عمل من ثمر البلاذر اي هو لا يسكر لضعف فعله .

* * *

حدثنا ابو الفتح عبد الله بن محمد البرودي الكاتب قال حدثني بعض شيوخ الكتّاب قال(١) قال ابن الفرات لابي منصور بن جبير كاتبه ايما أكفا(٢) انا او علي بن عيسى فقال الوزير اكفا واضبط قال دعني من هذا قال توَّمنني قال قد امنتك قال علي بن عيسى اذا حضر بين يدي الخليفة فاراد ان يكتب سراً له لم يحتج الى غيره و كتب هو وسحا وختم وخرط(٣) بيده وانفذ العمل وانت لا بد لك من زنجبي ولوطي صاحب دواته فيطيل(٤) الامر بظهور اثنين عليه قال فضلت علينا علياً؟ قلت لا والله ياسيدي ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك .

* * *

(١) كتاب الوزراء لهلال ص٦٣ . (٢) الصواب أينا أكفى .

(٣) يعني : جعل في الخريطة . (٤) لعله : فيبطل . والعبارة عند هلال غير هذه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حدثني عبد الله بن محمد بن داسه ان ابا القاسم البريدي ايام تقلده الامر بالبصرة شرب يوماً وعنده جماعة من ندمائه فافتقد قحف بلور كان معجباً به وطلبه الشرابية فلم يعرف له خبر فحلف انهم ان لم يحضروه ضربهم بالمقارع فقال له احدهم لا تعجل ولكن امر (١) باحضار كل من كان البارحة حاضراً فأمر باحضارهم فجلسوا وأنفذ الغلام الى منزل كل واحد منهم برسالة منه أن انفذوا القحف البلور الذي حملته اليكم البارحة فعاد احد الرسل من دار احدهم ومعه القحف فافتضح ذلك النديم وسقط محلّه . وهذا مضادّ لما حكي عن بعض الاكاسرة انه كان يشرب فوقعت عينه على غلام من غلمانه وقد سرق صينية ذهب مع مافيها وحملها فأمسك الملك وفاز بها الغلام فافتقدها الخزّان من الغد وجاؤا في طلبها فدعاهم وقال لاتتعبوا في طلبها فقد اخذها من لا يردها ورآه من لا ينمّ عليه قال فأمسكوا فلما كان بعد سنة كان الملك يشرب فدخل ذلك الغلام عليه فرأى عليه منطقة ذهب حسنة فقال له الملك سراً أهذا من ذلك فقال نعم . فقال ان كان ما عندك من تلك الدنانير التي من الصينية قد نفد فعرفني لأدفع اليك أخرى .

* * *

وحدثني قال وحدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال لما قدم حامد بن عباس الاباّة يريد الأهواز وهو وزير خرجت لتلقيه فرأيت له حراقة ملاحوها خصيان بيض وعلى سطحها شيخ يقرأ القرآن وهي مظللة مستترة .

(١) يعني : مُرْ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فسألت عن ذلك فقالوا هذه حراقة الحرم لا يحسن ان يكون ملاحوها فحولة ·

قال وقال لي ابوالحسين دخلت الى ابن الجصاص في داره ببغداد فرأيت خصياناً بيضاً مزينين ·

* * *

قال حدثنا ابوالحسين قال رأيت لابي العيناء خادمين خصيين أسودين يقودانه فقيل له كيف اتخذت خصيين أسودين فقال حتى لا يتهما بي ولا أتهم بهما ·

* * *

وحدثني قال حدثنا ابوالحسين قال قدم ابوالعيناء البصرة في سنة نيف وثمانين بعد الغيبة الطويلة التي غاب عنها وخدمته للخلفاء والوزراء بسر من رأى وكان ابوخليفة اذذاك عالم البصرة بالحديث والأخبار واللغة والنحو ومحمد بن جعفر بن بسام قاضيها وكان له محل من الادب واللغة والشعر كبير وكنت منقطعاً اليه ملازماً له أدرس عليه الفقه فكان اول من ائتمنني ورفع شأني · فقال لي يابا الحسين قد قدم ابو العيناء وأحب ان أجمع بينه وبين ابي خليفة وننظر اثرهما (١) فقلت عليَّ ذلك فقال مضيت ولقيت ابا العيناء وعقدت عليه وعداً للحضور عند ابن بسام وعلى ابي خليفة فاجتمعا فأخذ ابو العيناء في الرواية عن الأصمعي ومشاهداته مع المتوكل وابن ابي دؤاد وفلان

(١) لعله : آثرهما أي أفضلهما ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفلان والشعراء قال فاسكت ابو خليفة فلم ينجرّ معه ولم يلحق به قال فاثنينا على ابي العيناء وقرظناه فقال يا أيها القاضي انا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ اربعين سنة ٠

* * *

وحدثنا ايضاً قال حدثني ابو عبيد محمد بن علي الاجُرّي قال كنت عند ابي العيناء لما قدم البصرة سنة نيف وثمانين بتسبيبات له على عمالها و كان معنا أصحاب الحديث فقيل له قد دخل اليك ابن المثنى فقام وقدّر ان ابا علي الحسن بن المثنى قصده فقال له بعض الحاضرين انه احمد بن الحسن بن المثنى فجلس قبل ان يقرب منه ابو الحسين ثم استدنا (كذا) ابا الحسين واكرمه وسأله عن خبر ابيه ٠٠٠٠ (١) ٠

* * *

٠٠٠ فقال لي لا أدري كنت يوماً في مجلس موسى بن اسحاق القاضي بالبصرة وقد اجتاز بنا و كان أصحاب الحديث حضوراً و كان موسى لا يطلق (٢) ان يدخل مجلسه غلام أمرد ليسمع الحديث فحين رآه موسى صاح ياغلام أخرجه فقلنا له اعز الله القاضي هذا ابن اخيك ابي علي بن المثنى قال فرفعه وقدمه ٠

* * *

وحدثني قال حدثني ابو الحسين قال لما نشأتُ كَتَبَ ابو حازم القاضي الى ابي يقول انه قد بلغني انه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ومن حاله وصفته ٠

(١) يظهر ان أواخر الحكاية قد سقطت مع أوائل حكاية أخرى ٠ (٢) لعله لا يطيق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(قال وقرظني) فانفذه اليّ لأُقلده القضاء قال فقال لي ابي ما تقول فقلت فانفذْني فانك هو ذا ترى مانحن فيه من الإضاقة فلعلي اتسع بالارزاق (١) فان الاعمال تفنى والصيانة تبقى .

* * *

وحدثني قال حدثني بعض شيوخنا ان ابا العيناء قد قصد دار الواثقي وهو الامير بالبصرة اذذاك فأجلس في الدهليز ساعة الى ان استؤذن له وجرى الحديث فقال رجل في حديث اقتضى ذلك يا ابا العيناء انت صائم اليوم فقال اما في هذه الدار فنعم فكتب صاحب الخبر الى الواثقي بذلك فأذن له في الحال واعتذر اليه من إجلاس البوابين له في الدهليز وانكر ذلك عليهم .

* * *

قال واجتمع ابو العيناء وابو النضير (٢) يوماً في مجلس فاستطال عليه ابو العيناء فقال له ابو علي : نحن جميعاً ضريران فما هذا التطاول فقال ولا سواء انت من عميان العصا وانا من عميان المواكب (٣) .

(يبحث صلة)

(١) يظهر انه سقط ما معناه : فقال ابي لا تفعل .

(٢) لعله : ابو علي البصير الذي اسمه الفضل بن جعفر .

(٣) لعله : المراكب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

آراء وأفكار

—(())—

ملاحظات لغوية

نشر لي المجمع العلمي العربي في مجلته م ١١ ص ٦٩١ — ٦٩٧ فصلاً فيه ملاحظات على طائفة من الفضلاء الذين يكتبون فيها ، وبدا له فعلّق على موضعين منه تعليقاً وجيزاً ، ثم قفّى عليه كبير كتّاب العصر الأمير شكيب أرسلان فوافق على كل ما جاء فيه عدا كلمة واحدة استوقفته فاستفهمني عنها وتقاضاني عليها شاهداً يوثق به .. وقد سمعت ما عندهما فأحبّ أن يسمعا ما عندي ، ورأيهما الموفق !

فأما ملاحظتا المجمع فأولاهما أن أديباً باحثاً ذهب في فصل كان يتحدث فيه عن الجاحظ الى أن العربَ كانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال ويُسبق الظلام » فأخذت عليه قوله يسبق الظلام ونفيتُ أن يكون لسبق الفرسِ الظلامَ مفهوم في الكلام وقلت إنما كانت العرب تقول يسبق الظليم وهو الذكر من النعام وعززت قولي ببينات من اللغة والشعر يغني الرجوع اليها عن إعادتها ، فعلق المجمع على شطر من قولي من غير أن يلتفت الى الشواهد التي أقمتها على تأييده ونازعني في إنكاري أن يكون لسبقِ الفرسِ الظلامَ مفهومٌ ما وقال إن لذلك وجهاً وجيهاً ووثق رأيه ببيت للنابغة الذبياني وهو قوله :

وإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم لم يزد عليه شيئاً

وأنا أتحاكم في هذا الذي أذهب اليه الى النص وسياقه وسياقه والى المنطق والى العرب ثم علماء الأدب فيما فهموه من هذا البيت . فأما النصُّ فانه — كما قلت أول مرة — من كلام ابن شرف القيرواني في رسالته الانتقاد ، وهو يتحدث عن مخترعات امرئ القيس

م : ٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في الشعر ، وهو قوله « وكانوا يقولون في الفرس يلحق الغزال والظليم حتى قال قيد الاوابد » أي الوحوش ، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات : في الأوليين منها « الظليم » وفي الثالثة « الظلام » ويظهر أن الكاتب اعتمد هذه الطبعة الثالثة فقال ما قال من غير أن يتروّى في السياق والسباق ، فأية علاقة في النص بين الظلام وبين الغزال والأوابد ؟ لا شك أن التنافر في هذا من الشدة بحيث لا يمكن أن يجمع بينها المعنى الذى قصد اليه ابن شرف كيفما حاول المتحل أن يلائم أو يوائم أو يلاحم ، انما يستقيم المعنى بالظليم ... وبالظليم وحده ليس غير . وللزيادة في توكيد أن هذا اللفظ هو الثابت نذكر أن ممن تعرض له ايضاً ابن رشيق في قراضة الذهب وبعض شراح ديوان المتنبي عند قوله « أجل الظليم وربقة السرحان » وقوله « وعقلة الظبي وحتف التتفُّل » فقد اشاروا جميعاً الى أن المتنبي قد احتذى امرأ القيس في « قيد الاوابد » الذي اشار اليه النص الصحيح المتقدم من كلام ابن شرف ، غير أن المتنبي أتى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادة جيدة فقال « أجل الظليم » وقال « ربقة السرحان » الخ وفي هذه دلالة قاطعة على صحة ما ذهبنا الى تصحيحه وعلى أن العرب من عهد امرئ القيس الى المتنبي والى مالا ادري انما كانت تذكر في تفضيل سبق الجياد الحيوان والوحش من غزال وظليم وتتفل لا الظلام وما اليه . هذا النص ومؤيداته وأما المنطق فهو يرفض كل الرفض ماذهب اليه التعليق من «وجاهة» معنى سبق الفرس للظلام ، فانه من الوهم الذي لا يتحقق له وجود في الخارج إذ كيف يسابق الفرس الظلام وفي أي فلك يدور معه ويجاريه وفي أي مضمار يجول ويباريه ؟ ان هذا الذي يريده التعليق إن هو الا إحالة [1] فاسدة لم يتعلق بها حتى المغرقون في المبالغات السخيفة [1] من الشعراء المولدين .

واما بيت النابغة الذبياني فهو في وادٍ غير هذا الوادي وهو بعيد جداً ان يكون مؤيداً لهذا المعنى الذي يذهب اليه التعليق ، وندع القول فيه الى مافهمه منه فصحاء العرب ثم الرواة وأئمة الأدب لئلا نترك مجالاً للاعتراض والرد تارة أخرى :

عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي قال — كنا عند الجنيد بن عبدالرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله « فانك كالليل

(١) [المجمع] .....

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي هو مدركي ... البيت » فقال شيخ من بني مرة — وما الذي رأى (يعني النابغة) في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان الا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية ايضاً فاكثرت ، فنظر الى الجنيد فقال — ياأبا خالد ! لا يهولنك قول هؤلاء الاعاريب واقسم بالله لو عاينوا من النعمان ماعاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ماتسمع وهم آمنون . وانت ترى من إنكار الشيخ المري على النابغة قوله أنه انما فهم منه المبالغة في دعوى سعة[1] ملك النعمان على حين أنه لم يكن الا على منظرة من مناظر الحيرة فانكر عليه دعواه الكاذبة كما أنكرتها القسية ايضاً .

وقال العلامة الأديب عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص يشرح البيت :

المنتأى : اسم موضوع من انتأى عنه أي بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وحوله ، والمعنى : انه لا يفوت الممدوح وان أبعد في الهرب وصار الى اقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب اليه .

ثم أورد اعتراضاً للاصمعي على النابغة في تشبيهه الادراك بالليل بأن الليل والنهار قد تساويا فيما يدركانه وإنما كان سبيله ان يأتي بمالا قسيم له حتى يأتي بمعنى منفرد . وقال : فلو قال قائل — ان قول النميري في ذلك أحسن منه — لوجد مساغاً الى ذلك حيث يقول :

فلو كنت كالعنقاء أو كسموّها ... لخلتك الا أن تصد تراني

ثم أورد العباسي في معنى بيت النابغة أشباهاً كثيرة في وصف سبق الفرس من شعر ابن جبلة وسلم الخاسر والبحتري وابن هانئ الاندلسي وأبي العرب الصقلي وكلها يدل على غير ما ذهب اليه صاحب التعليق في تفسير بيت النابغة ! !

وثانية الملاحظتين أنني صححت كتابة (عُرى) جمع (عروة) بالألف (عُرا) بناءً على قاعدة البصريين في إرجاع الكلمات الى أصولها ، فخالفني المجمع وقال « بل الاصح أن تكتب بالواو (هكذا في الطبع وهو يريد بالياء) بناءً على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضحى والخطى » انتهى . وأنا لا أعلم ما الذي يجعل قاعدة الكوفيين أرجح في نظر المجمع على حين أنها قاعدة شاذة عن المقاييس العلمية ليس لها أصل معقول تحور اليه ! وحياة اللغة إنما تستمر باصطناع المقاييس المطردة التي جرى عليها البصريون ومن نحا نحوهم في

(١) [المجمع] أو في دعوى سرعة اللحاق والإدراك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تأصيل الأصول القياسية من فلاسفة اللغة وأهل البيان ، وشذوذ من المجمع أن يرجح الشاذ على المقيس من غير مرجح لديه ويرجع بالأصول اللغوية الى طور السذاجة قبل أن يتناولها الاستقراء العلمي ويحررها البحث الفني . على أنني كنت أحب للمجمع . وهو القائم على تهذيب اللغة في هذا العصر العتيد أن يتجاوز حتى قاعدة البصريين التي هي أنفى للغلط الكتابي الذي يضج منه العالمون والمتعلمون من قاعدة الكوفيين الجامدة البليدة الى أفق أوسع ومجال أرحب فيدعو الى كتابة الباب « كله » بالألف حملاً للخط على اللفظ سواء كانت الألف ثالثة أوفوقها ولومنقلبة عن ياء في علم أوغيره ، لنريح ونستريح من الشكاوي المريرة من صعوبة قواعد الكتابة العربية التي لايسلم أكثرها من تنطع وبلادة وجمود . والمجمع لايجهل أن هذا الذي أريده قد مشى عليه جماعة من النحاة منذ عهد عهيد ووجهوه بأنه القياس وبأنه أنفى للغلط ، وهو تعليل صحيح يدل على سمو في الفكرة ودقة في النظرة فأنا أدعو الجماعة العاملين على إحياء العربية الى مشاركتي في هذا الرأي ونشره بين الناس في المدارس وفي الصحف فان في ذلك تخفيفاً كبيراً من عبء اللغة على المتعلمين وخيراً كثيراً .

وأما ملاحظة العلامة الأمير شكيب أرسلان (المجمع م ١٢ ص ٢٤٩) فعلى كلمة جنح بمعنى جناح في مثل وهو قولهم « ركب جنح نعامة » كنت اوردته شاهداً على ان النعام ذكره وأنثاه هوالموصوف عندالعرب بالخفة وسرعة الجري وشدةالحذر . فالأمير يعترض على استعمال الجنح ويرى أنه غير الجناح ويقول « لا أزال أحفظ أن اليازجي الكبير في مقاماته استعمل الجنح بمعنى الجناح مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك أحمد فارس صاحب الجوائب » ثم هو يتقاضاني أن أدلي له بنص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً الى الطائر . وجوابي له أنني نقلت هذا المثل بهذا اللفظ من كتاب حياة الحيوان[1] مع علمي بأن الوارد في القاموس المحيط وفي كتب الأمثال أنما هو جناح ، وعلة ذلك أنني أعتقد أنه لافرق بين الجنح والجناح بدلالة مفاهيم عبارات اللغويين وجنوح الأدباء وعامة الناس في مصر والشام والعراق الى استعمال ذلك بمعنى هذا . فأما عبارات أهل اللغة فقد جاءت متحدة غالباً في الجنح والجناح فمن معانيهما معاً : الكَنَف ، والناحية ، والجانب ، فاذا أردنا جانبي الطير أو الانسان أو الجيش فلماذا يصح أن يقال جناحاه ولا يصح[2] أن

(١) طبعة مصرية . (٢) [المجمع] لان اللغة نقل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقال جنحاه على حين أنهما يدلان على شيء واحد دلالةً واحدة وهي « الجانب » ؟ فان قيل إن الجناح بمعنى الجانب مجاز كما في قوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . قلنا : وكذلك قولهم العرب « أناخ فلان عند جنح سبيل » أي جانبه ، و « بات بجنح القوم » أي كنفهم . ولا بد لكل مجاز من حقيقة ينقل عنها ، فاذا اعتبرنا حقيقة الأول هي جناح الطائر فما عسى أن تكون حقيقة الثاني ؟ لاريب أن اتحاد اللفظين في معانيهما المجازية دليل على اتحادهما في حقيقتها ايضاً غير أن حقيقة الجنح أميتت لسبب من الأسباب وحقيقة الجناح استمرت في الاستعمال . وقد قالت العرب في كلمات مثلها « نجح ونجاح ، وصبح وصباح ، ومسي ومساء » وغيرها ، فلماذا لا يكون الجنح كالجناح على هذا القياس[1] ؟ ولم كل هذا التحجير ومعاجم اللغة لم تدون كل مفردات اللغة ؟

واذا تحللنا من قيود الجمود على ورد ولم يرد استوقفنا إطباق أكثر أهل البلاد العربية على استعمال هذين اللفظين بمعنى واحد في حقيقة واحدة ، أفنضرب بذلك كله عرض الحائط ولا نعيره أقل اهتمام ؟ هذا اليازجي[2] الكبير قد رأى جواز استعمال هذا اللفظ بمعنى ذاك فاستعمله ، وتلك الطبعة المصرية لحياة الحيوان تستعمله كذلك ، وهذه أبيات من الشعر العراقي[3] قرأتها في كتاب العقد المفصل ج ١ ص ١٧٧ و ج ٢ ص ٣٤ وهي صريحة في استعمال الجنح بمعنى الجناح :

وهو للمؤمنين يخفض جنحاً دون أدنى محله الجوزاء

***

أهونْ بأحداث الزمان وان تكن لعظيم أبطال الزمان تبير
قد فاجأته في الرضاع وقلبها فزعاً يجنح الرعب منه يطير

وقد استرأينا في هذا فاضلين كبيرين من أعيان العصر في الشعر وفي النثر فوافقاني على ما ذهبت اليه في غير تلكؤ وبعد هذا قد ذهب وهم العلامة الأمير الى أنني استشهدت بقول الشاعر الحامي :

كأن بصحراء المُريط نعامةً تبادرها جنح الظلام نعائم

---

(١) [المجمع] لأنه لا قياس في اللغة . (٢) [المجمع] !!!

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لإثبات صحة جنح بمعنى جناح ... وليس كذلك فأنا انما استشهدت به وبماقبله وبعده لاثبات صفة سرعة الجري للنعام ذكره وانثاه ليس غير ، وأما موضوع الجنح والجناح فلم أكن بسبيله وإنما أثاره الأمير . عليه مني تحية طيبة مباركة .

بغداد : محمد بهجة الأثري

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(المجمع) لعل القارئ بعد ان استطال كلام الفاضل الأثري يريد ان يعرف النتيجة الصحيحة من هذه الابحاث الثلاثة فنقول :

(١) ان العرب كما يصفون الفرس بانه يسبق الظليم يصفونه ايضاً بانه يسبق الظلام بدليل ما نقل عن الجاحظ وبدليل قول النابغة : (فانك كالليل الذي هو مدركي)

فهو يقول للنعمان انك تدركني وتبطش بي أني فررتُ كما أن من رأى اول الليل مقبلاً من جهة الشرق تخيل اليه انه اذا فرّ منه ينجو فلا جرم انه لا ينجو بالفرار بل ان ظلام الليل يدركه انى سار .

(٢) الكوفيون من علماء اللغة اقوالهم مرجوحة سوى مسائل معروفة رجحت فيها آراؤهم من ذلك كتابة (عرى وضحى وخطى) بالياء وان كان أصلها واواً وكثيراً ما كانت الفصاحة في استعمال الشاذ — كفعل (استحوذ) مثلاً فان الفصيح فيه ان يقال كما قال تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان) وان كان اصل القاعدة (استحاذ) .

(٣) ما قاله الامير شكيب من ان كلمة (جنح) لم ترد بمعنى جنح الطائر في فصيح كلام العرب ولا في معاجم اللغة المعتبرة — هو الصحيح ولا يجوز جعل (طبعات) الكتب وشعر المتأخرين وإطباق الرأي العام — براهين على صحة دعوى لغوية ما لم يؤيدها النقل الصحيح من أئمة اللغة المثبتة اقوالهم في المعاجم المشهورة .

(٤) يبقى مجمعنا العلمي متمسكاً بماقرره الاقدمون من قواعد اللغة العربية ويجد من وفاء الذمم ان ينبه الى ما وقع من الخطإ في تلك القواعد حتى اذا تيسر له تنفيذ خططه في اصلاح اللغة وتهذيب قواعدها واعلن ذلك على الملأ كان له اذ ذاك ان يغضي عن الاغلاط معما خالفت آراء المتقدمين ما دامت موافقة لخططه وطرائقه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالتي (الكلمات الايوبية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان النويري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصولة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصولة مشتقة من الفصل . ثم نقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معربة عن كلمة Vassal الافرنسية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان نتتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نعثر منها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحح كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فمر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بعدد أعمال السلطان في بيت المقدس (وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة اي على قبر حنة ام مريم عليها السلام اه) فرأينا العبارة قلقة من جهتين (ا) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تجر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعيمي مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين يقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية (فعين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة) فلم يقولا (جسد) وانما قالا (صند) فاحدى الكلمتين محرفة عن الاخرى واحداهما وهي (جسد) لها معنى في اللغة والاخرى وهي (صند) لامعنى لها اصلاً ومع هذا رأينا أجهل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا : وذلك ان كلمة (صند) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الافرنج الصليبيين . وهؤلاء يقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكرون اسمها مجرداً عن لقب التكريم بل هم كلما ذكروها قالوا (سنت حنة) (سنت حنة) ومعنى سنت (Sainte) في اللغة الافرنسية القديسة فكان رجال السياسة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القديسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلا غرو اذا قلنا انه كان يسمع الافرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بنى المدرسة الصلاحية قال انه بنـاها على (صنت حنة) يعنى القديسة وانظر لماذا لم يقل القديسة بدل (سنت) ؟ ثم ان العرب يتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويجذبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة (سنت) الى (صند) بقلب السين صاداً والتاء دالاً · وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالك في الكلمات الدخيلة الاعجمية · والحاصل ان العماد الكاتب قال (صند حنة) ونقل العماد عن مؤلف (الروضتين) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بنى المدرسة على (صندحنة) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النعيمي (المتوفى سنة ٩٢٧ هـ) كتابه (الدارس) ولخص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على (صند حنة) وقد ظن النعيمي ان معنى كلمة (صند) الافرنسية (قبر) ففسرها بقوله (اي على قبر حنة) ثم تعاور النساخ كتاب الدارس ولم يفهموا كلمة (صند) فرجحوا أن تكون محرفة عن (جسد) وهكذا كتبوها (جسد حنة) فكلمة (صند) كلمة صليبية بمعنى ان العماد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة (سنت) بعد ان عرّبوها بصند · بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية (سيسليا) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا (صنت) بالتاء لا بالدال · والاندلسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنهم (شنت مرية) (شنت ياقب) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة او الناحية لانهـا تضاف الى عدة اسماء · وليس كما قال ·

ويمكن ان نضم الى كلمة (صند) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة (كُند) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منـذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للنويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب (او كتب كاتبه عنه) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله (والرغبة الى الله ألاّ تشق لدينا الا اكباد أكناد · ولا تجزّ غير شعور ملوك التتر الخ) فقوله (اكناد) جمع (كُند) وكند معرب كونت (Conte) الافرنسية ومعناها أمير (راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة) وتاء (كنت) او (كونت) قلبت دالا في العربية كما قلبت تاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(سنت) دالاً ايضاً مذ قالوا (صند) . وقلب التاء دالاً لقرب مخرجيهما أمر مستفيض في كلمات اللغة مثل (أعتدت متكأً وأعدّت) و (سَبَد شعره وسبته) و (مرَتَ الجلد ومرَدَه) و (مدّ الحبل ومتّه) الخ . أما قلب السين صاداً على نمط ماوقع في (سنت وصند) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس . ولكنهم لم يسلموا هذا للقائل . وانما هم قالوا بكثرته فقط .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من نوادر المخطوطات

« في دار الكتب الظاهرية »

— ٥ —

ذيل تاريخ بغداد[1]: تصنيف محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ قال صاحب كشف الظنون : وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد جمع فيه فاوعى يقال انه يتم في ثلاثين مجلداً ورتبه كالطبقات . الموجود منه المجلد العاشر فقط في ٤٦٠ صفحة كبيرة أوله : ترجمة عبد المغيث بن زهير المتوفى سنة ٥٨٣ وينتهي الى ترجمة علي بن الحسين الاسكاف [رقم ٤٢ التاريخ]

ذيل طبقات الحنابلة : تأليف زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو ذيل على طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٥١٦ وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ وهذا الذيل وصل فيه الى سنة ٧٥٠ الموجود منه نسختان [رقم ٦٠ و ٦١ التاريخ] .

سيرة احمد بن طولون : تأليف ابي احمد عبد الله المدني البلوي وقال صاحب كشف الظنون انها لأحمد بن يوسف بن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ . أولها الحمد لله خالق السموات والارض وما بينهما من الآيات على حكمته الشاهدات على قدرته الخ نسخة في ٢٥٠ صفحة متوسطة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الرابع [رقم ٢٤٢ التاريخ] .

(١) جاء في كشف الظنون ما نصه : قيل أول من صنف لبغداد تاريخاً احمد بن طاهر البغدادي وتلاه ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فكتب على طريقة المحدثين جمع فيه رجالها ومن ورد بها وضم اليه فوائد جمة فصار كتاباً عظيم الحجم والنفع اه . وقد طبع التاريخ للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد وصدر منه الى الآن ١٣ مجلداً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عيون التواريخ — تأليف صلاح الدين ابي عبدالله محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ رتبه على السنين وانتهى فيه الى سنة ٧٦٠ ابتدأه بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب رواته وطبقاتهم وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين وغيرهم قسمه الى حوادث ووفيات . الموجود منه سبعة مجلدات من نسخ مختلفة .

(الاول) يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاته في ٣٢٠ صفحة متوسطة القطع كتب سنة ٨٨٨ بخط نسخ [رقم ٤٣ التاريخ] .

(الثالث) فيه تاريخ من سنة ١٣٢ الى سنة ٢١٧ في ٤٢٠ صفحة متوسطة بخط نسخ [رقم ٤٤] .

(الخامس) فيه تاريخ من سنة ١٢١ الى سنة ١٤٣ في ٢٠٠ صفحة صغيرة [رقم ٤٥]

(الخامس) (من نسخة اقدم من المتقدمة) فيه تاريخ من سنة ٧١ الى سنة ١٠٨ ؛ في ٢٠٠ صفحة كبيرة [رقم ٤٦] .

(الثاني عشر) فيه تاريخ من سنة ٣١٠ الى سنة ٣٩٠ في ٦٠٠ صفحة متوسطة [رقم ٤٨] .

حسني الكسم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

الضياء

« مجلة تسعى في ترقية الآداب العربية »

« في لكنؤ (الهند) »

كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول

وهكذا شأننا في الخوف على لغتنا العربية والحذر من ان تضعف وتتخاذل امام زحف اللغات الاجنبية عليها وزمزمة دسائسهم حواليها فليس العجب ان تنهض العربية في تونس والجزائر ومراكش وانما العجب ان يسطع ضياؤها ويخفق لواؤها في بلاد الاعاجم : كانتشارها في امريكا بواسطة ابناء يعرب وغسان من اخواننا المهاجرين وانتشارها في جزائر جاوه بواسطة الحضارمة وكنهوضها اليوم في بلاد الهند بواسطة الغيورين من أساتذة معاهدها العلمية والدينية : فقد انشأ هؤلاء الاساتذة مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية ولغة الانشاء فيها هي لغة مصر بما عهدناه من فصاحتها وناصع عروبتها (الاقليلاً) . وان القائم بانشاء تلك المجلة الاستاذ (مسعود عالم الندوي تحت إشراف الاستاذين سليمان الندوي رئيس دار المصنفين وتقي الدين الهلالي المغربي المراكشي) . وقولهم (الندوي) . نسبة الى جمعيتهم المشهورة في لكنؤ المسماة (ندوة العلماء) . وقد جاء مجمعنا العلمي ثلاثة الاجزاء الأُولى من تلك المجلة فراقنا منها أولاً (الإخلاص) الذي لمحناه يترقرق خلال سطور ما يكتب فيها . ثانياً (فصاحة العبارة) العربية التي تتجلى في ما يكتبه العلماء الهنود فيها . ثالثاً (المقدرة الصحافية) في جمع المواد وتبويبها وحسن إيرادها وجودة تنسيقها . ففي الجزء الأول مقالان عن النهضة العلمية في الهند من الوجهتين الدينية والدنيوية وعلاقة ذلك باللغة العربية التي ينظر اليها مسلمو الهند نظر تقديس وتعظيم . ومقال في فلسفة الأمثال . وآخر مناقشة مع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأب (لويس شيخو) في ما كتبه عن (شعراء النصرانية) ومقال في شاعر الهند (محمد إقبال) ويظهر ان مسلمي الهند عاتبون علينا في التنويه بطاغور الهندومي والاعجاب بشعره وشاعريته وإعراضنا عن ذكر شاعرهم (محمد إقبال) وترجمة اشعاره والتحدث بأخباره . ومن ثم عزموا في مجلتهم ان يترجموا من قصائده الى العربية الفصحى ويروو لنا الفينة بعد الفينة نتفاً من آثار قلمه وبدائع حكمه . ولم يقتصروا على تقديم شاعرهم العظيم الينا بل هم ينوهون ايضاً بشاعرتهم الهندية العظيمة (سروجني نائيدو) وقد اخبرونا ان شاعرتهم هذه قالت في شاعرهم (إقبال) في الحفلة التي أُقيمت لتكريمه في لندره — انه (ملك شعراء آسيا) .

ونشروا في الجزء الثاني : مقالاً ممتعاً عن (كيفية انتشار الاسلام في الهند) و (من هو الواضع لعلم الجبر والمقابلة) و (تأثير الاسلام في الشعر العربي) (ومناهج التعليم في اللغة العربية) وفي الجزء الثالث : (نشأة اللغات) و (شغف ابي العلاء المعري بالمتنبي) و (المدرسة البادرائية بدمشق) و (احصاء المسلمين في العالم) وغير ذلك من قطع النثر والنظم القديم والحديث الهندي والعربي ويمكن ان يقال ان الهدف الذي ترمي اليه المجلة هو (١) احياء اللغة العربية بين مسلمي الهند فتقوى على مهاجمة اللغة الانكليزية . (٢) التقريب بين الأدبين العربي والهندي وتعريف أدباء الفريقين بعضهما ببعض . وهذان الغرضان لا يتمان مالم يعن بتعليم اللغة العربية في البلاد الهندية وهو امر يهتم به علماء الهند كل الاهتمام ويخشون من تقصيرهم فيه أن يضعف الاسلام وتقوى الشعوبية وقد أعرب عما قلناه كبير علماء الاصلاح في الهند (السيد سليمان الندوي) في المقدمة التي افتتح بها المجلة وكان فيها بين الرجاء واليأس : فهو يرجو نهوض اللغة العربية وآدابها بسبب كثرة مدارسها في الهند ثم يعود فيظهر القنوط مذ يرى التواء طرق تعليم تلك اللغة ويحض قومه على العناية باصلاح البرامج وحسن اختيار الاساتذة والمعلمين .

ونختم تقريظنا هذا باقتباس بعض ما قاله عن المدارس التي تعلم اللغة العربية في البلاد الهندية قال : «هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها وان لم تكن لهم قدرة على التكلم بها . وتقدر مدارسهم العربية بالف من صغارها وكبارها وطلبة العربية فيها نحو مئة الف او يزيدون : فان صقعاً واحداً من اصقاع الهند ويعرف ببلاد البنغال يضم بين جناحيه ستين الفاً من طلبة العلوم العربية وتلامذتها وتجد في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة و كبيرة . أثراها (مدرسة جامع فتحپوري) واعمرها المدرسة الامينية . وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في (ديوبند) أكثر من ٥٠٠ طالب تدر على اكثرهم المدرسة رواتب شهرية تفي بمأكلهم وملابسهم ودع دار علومنا التي قامت بتأسيسها (ندوة العلماء) بلكنؤ فهي احدثها عمراً . ولكل منها من المزايا مالا يخفى على ذي عينين » ثم قال ان هؤلاء الطلاب على كثرتهم بكم عن التكلم باللغة العربية وعاجزون عن الكتابة والخطابة فيها اللهم الا ابحاث سمجة في الفقه والمنطق وأول من تنبه لترقية اللغة العربية مدرسة (دار العلوم) التي اسستها ندوة العلماء فنظمت التعليم العربي (وألفت معجماً شرحت فيه الكلمات الدخيلة والمعربة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية) . وآثرت لتعليم الآداب العربية أساتذة من العرب مثل الاستاذ (الشيخ تقي الدين الهلال المغربي المراكشي) . والزمت طلاب العربية بالكتابة والانشاء باللغة العربية . وقد انتقل هذا الاهتمام بالعربية الى المدارس الأخرى كمدارس بنجاب والمدارس الانكليزية الرسمية وجوامع لاهور وإله آباد ولكنؤ وپتنه وكلكة والكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى (پتنه) والمدرسة العالية (كلكتا) وخاصةً (جامعة دها كه) الانكليزية . وقد ارادت جامعتنا الاسلامية في (عليكره) ان تقتفي أثر جامعة (دها كه) في العناية باللغة العربية فعسى ان تثمر مساعيها . واما (الجامعة العثمانية) بحيدر آباد فهي اكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربي وعناية بمستقبل خريجيه . ثم ان الكاتب الفاضل بعد هذا الرجاء المعسول عاد فعقبه بأسف ويأس : ذلك ان اللغة الانكليزية وآدابها وصحفها تكاد تخنق العربية وتأتي على المساعي التي تبذل في تعميمها قال (فذلك ما دعانا الى اصدار مجلة عربية دعوناها الضياء) ثم دعا لها بالتوفيق ورجا من فضلاء بلاد العرب ان يمدوها بكل ما يحييها ويساعد على ثباتها .

ومجمعنا العلمي يرحب بهذه المجلة ويباهي بجهود القائمين بها وبهذه النهضة المباركة في البلاد الهندية . المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مجلة الابحاث الشرقية

الجلد الاول ١٩٣١

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome 1 1931

هي مجلة يصدرها باللغة الافرنسية المعهد الافرنسي في دمشق عوضاً عن مجلته السابقة ·

Mélanges de la Section Scientifique des Arabisans de l'Institut d'Archéologie et d'Art Musulmans de Damas

وابحاثها كالسابقة : ابحاث علمية شرقية متنوعة يحررها اعضاء هذا المعهد بمؤازرة نخبة من علماء المشرقيات فنرحب بالمجلة الجديدة ونرجو لها دوام التوفيق ·

جعفر الحسني

هدايا كتب

مر في ص (٤٤٢) من مجلد هذه السنة أن قد انشئت في (حيدر آباد الدكن) من بلاد الهند لجنة بأسم (مجلس احياء المعارف النعمانية) تعنى بنشر مصنفات أئمة المذهب الحنفي القديمة مما لم يطبع الى اليوم وقد طبع بعض تلك الكتب واهدت اللجنة منها الى مجمعنا كتابين :

(١) شرح الصدر الشهيد على كتاب النفقات للخصاف وهو الذي جمع فيه مسائل النفقة وجعلها على اقسام منها نفقة الوالد على ولده ونفقة الام على ولدها ونفقة الولد على الوالد ونفقة ذوي الأرحام الخ وقد ألحق الكتاب بذيل ذكر فيه ترجمة كل من الامام الخصاف المتوفى سنة ٢٦١ هـ وشارح كتابه الصدر الشهيد (المتوفى سنة ٥٣٦ هـ) والكتاب لطيف الحجم في نحو ٥٦ صفحة وقد طبع في مطبعة (دكن لاربوت) في حيدر آباد ·

(٢) كتاب العالم والمتعلم للإمام ابي حنيفة النعمان قال صاحب (كشف الظنون) يشتمل هذا الكتاب على العقائد والنصائح بطريق السوآل عن المتعلم والجواب عن العالم يقال رواه (ابومقاتل) عن الامام الأعظم رضي الله عنه اه ·

وأوله (ان الحمد لله حياً لا يموت وحمداً لا يطعم الخ وهو في نحو ٣٢ صفحة وقد طبع في المطبعة الحيدرية في (حيدر آباد) ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتوجد نسخة مخطوطة من (كتاب العالم والمتعلم) في دار الكتب الظاهرية كتبت حديثاً . لكن في اولها مقدمة ليست في النسخة المطبوعة المهداة الينا من لجنة الهند وقد رأينا من تمام الفائدة نشر هذه المقدمة وهذا نصها :

« قال الشيخ الامام العالم الزاهد الورع القدوة العلامة رئيس الاصحاب مجد الدين عبد الرحمن بن عمران بن احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي جرادة قال :

أخبرنا الشيخ الامام نجم الدين ابو القاسم اسماعيل بن عبد السلام بن عبد الرحمن اللمغاني مدرس مشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه بقراءتي عليه في مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي من بغداد جبرها الله وذلك يوم السبت رابع صفر سنة ثلاث واربعين وستمائة قال أخبرنا صبح الدين ابو الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي بسماعه من ابي العلا حامد بن ادريس جماعة من ابي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي بسماعه من ابي طاهر المهدي محمد الحسيني بسماعه من ابي يعقوب بن منصور السياري بسماعه من ابي الفضل أحمد بن علي بن عمر السلماني بسماعه من ابي سعيد حاتم بن عقيل الجوهري بسماعه من الفتح حنيفة ابي علوان ومحمد بن يزيد بسماعهما من الحسن بن صالح عن مقاتل عن الامام ابي بن نعمان بن ثابت رحمة الله عليه قال الحمد لله حياً لايموت الخ .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net